من الأدب الساخر

ح نعيش كده.. ونموت كده

يوسف معاطي

منتديات المكتبة العربية
www.Tipsclub.net
Amly





الدار المصرية اللبنانية

بيانات الفهرسة أثناء النشر
(الإدارة المركزية لدار الكتب)
معاطى ، يوسف .
ح نعيش كده ونموت كده / يوسف معاطى .-
ط 1 . ـ القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، 2007.
168 ص ؛ 21 سم .
تدمك 5- 097- 427-977 .
1- المقالات العربية.
أ- العنوان .
814

الدار المصرية اللبنانية
16 عبد الخالق ثروت ـ تليفون: 3910250
فاكس: 3909618 – ص.ب 2022 ـ القاهـرة
e-mail:info@almasriah.com
www.almasriah.com

تجهيزات فنية: الإســراء ـ تليفون: 3143637
طبع: أمون ـ تليفون: 7944517 - 7944356
رقم الإيداع: 23463 / 2006
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
الطبعة الأولى: ذو الحجة 1427هـ ـ يناير 2007 م .

من الأدب الساخر

ح نعيش كده..
ونموت كده

يوسف معاطى

ما تقولش الدنيا ساقعة.. قول سم

يا للصقيع، فى فصل الشتاء، وفى هذا البرد القارس، يصعب كتابة أى شىء ذى قيمة، إن مخى تقريبًا فى الفريزر، أنا ملفوف بالبطانية، أكتب لكم من تحتها عسى أن يصل صوتى إليكم، أرتدى تحت بنطلون البيجاما بنطلون صوف آخر، وتحت جاكتة البجامة بلوفر صوف، وشراب صوف يدفىء القدمين، أشعر أننى مقدم على مرحلة صوفية من حياتى، شتاؤنا غريب يا جماعة، يضرب فى العضم، والأسنان تصطك ببعضها، والأصابع تلتصق وتتجمد وتصبح يـدى حتة واحدة تشبه المغرفة، تنتابنى رغبة أن أسوِّى معاشى بدرى، وأجلس فى الشمس ـ إذا أشرقت يعنى ـ فى البلكونة، أقرأ الجرائد، وألعب مع أحفادى، ولكن، أيـن أحفادى هؤلاء؟ أنـا لم أتزوج بعد ولن أفعلها فمن المجنون الذى يترك هـذا الدفء الخـرافى تحت البطانية، ويفكر فى أى شىء ثانية واحدة، أصابع رجلى تزحلقت وخرجت من تحت البطانية، سأسحبها إلى الداخل قليلاً، آه، الحمد لله

كناح نروح فى داهية، وأتساءل كيف يتعامل الأوروبيون مع شتائهم وجليدهم وينزلون إلى أشغالهم عـادى ويمارسون حياتهم بكل نشاط؟ شمسية وطاقية وبالطو، بينما نحن نهرول فى الشوارع ونجرى مذعورين، إذا فقط، ندعت!!

أحلام سعادتك.. أوامر

لاشك أن استرضاء الرؤساء والمسئولين وكسب إعجابهم، وودهم أصبح الآن علمًا حساسًا دقيقًا ومعقدًا فى الوقت ذاته، وإن كانت نظرية هذا العلم لم تخرج حتى الآن إلى حيز الوجود، وتعانى مكتبتنا العربية من فراغ واضح وجلى فى هذه النقطة بالذات، ولكن على المستوى العملى هناك ـ للحق ـ إنجازات لا تخرج عن كونها محاولات فردية متخبطة، قد تصيب وقد تأتى بنتائج عكسية.

كيف تنافق رئيسك فى العمل؟! ما هى دخلتك عليه؟! وكيف تكلمه؟! بنعومة؟! بفظاظة!! بخفة دم مصطنعة؟! ومتـى تستخدم هـذه ومتـى تلجأ إلى تلك؟! حكاية طويلة يجب أن نضعها نصب أعيننا، تحب تسمع مثال غير تقليدى يا عزيزى، خد عندك:

رئيس تحرير جريدة يتصل بوزير ما، ألو أكلم معالى الوزير، أهلاً يا باشا، أهلاً، أيوه وصلنى مقال سعادتك وقريته ونازل بكره، فى أول

صفحة، إيه رأيى فيه؟! ما هو أنا طالب سعادتك عشان كده، حاتكلم بصراحة، ح أنسى إن سعادتك وزير وإنى رئيس تحرير، أنا قارىء عادى وسعادتك كاتب، ماشى!! عارف إنت عاوز إيه، أنت عاوز الضرب، آه، ودينى زى مابقولك، أنا خلصت المقالة ودعيت عليك، آه والله لقيت نفسى بأقول غصب عنى، إلهى ينتقم من سعادتك!!

صرصرت السماعة وخشخشت عاكسة على ما يبدو، ذهول الوزير وحيرته!!

ولكن رئيس التحرير أضاف، آه عاوز الضرب، وتتمد على رجليك كمان، هل تعلم لماذا؟ لأنك لا تكتب لنا مقالاً كهذا للجريدة كل يوم، أيكون لديك مثل هذه الموهبة وتهدرها؟ مع إن الموضوع الذى اخترته موضوع ممل ورتيب "كيفية المحافظة على البيئة" إنما إيه الأسلوب ده!! وإيه الخيال ده!! وإيه الفكر ده!! عيب بقه، بجد عيب على معاليك، أنت وزير آه على عيننا وراسنا؟ إنما أنا أرفض إن إحنا نخسر مفكر وأديب وإعلامى زى سعادتك، أنا آسف، أعذرنى، أنا صريح شوية ما بحبش المجاملات.

هل لاحظت يا عزيزى القارىء أسلوب رئيس التحرير فى المشهد السابق؟ رائع، يهبل، إنه ينقض على الفريسة من حيث لا تتوقع، يهبط فجأة من حيث لا تدرى ولا تعلم، ولكن طبعًا هذه

إمكانيات. فرئيس التحرير هنا شخصية محترفة، ولا تحبو مثلنا فى دنيا النفاق والمصانعة، ولكن لا تيأس يا عزيزى فبالجهد والتركيز ستصل يومًا إلى هذا المستوى، إنما لا مفر من البدايات، ألف باء نفاق تعتمد على الجمل السريعة المباشرة التى تطلع فى مكانها كالطلقة.

مثال آخر: مديرك فى الشغل ينظر فى المرآة التى على المكتب ويتنهد فى حسرة، آه، الواحد شعره شاب خالص!!

هنا الرد السريع الجاهز: شاب إيه يافندم سعادتك والله تبان أصغر من سنك بكتير.

"وإذا زادت إمكاناتك كمنافق يمكن أن تطور نفسك وتبدأ فى ممارسة (الساسبنس)، التشويق الدرامى يعنى" فتكمل جملتك قائلاً: دول حتى البنات اللى بيشتغلوا فى المصلحة كلهم يعنى، ثم تصمت قائلاً، ولا بلاش!! هنا ستثير منطقة الفضول عند مديرك. سيبتسم فى سعادة ويقولك، لأ، قول، قول ما تخبيش حاجة، هنا تهمس له فى أذنه "مزيلاً كل الحواجز التى بينكما" وتقول له، ح يموتوا على سعادتك، بعد هذه الجملة لا تطور شيئًا إذ أنك إذا طورت بعدها ستدخل على موضوع آخر غير النفاق الذى نحن بصدده، فالنفاق يظل نفاقًا مادام لم يتجاوز مرحلة الكلام، الفعل بقى له اسم آخر، بل واستطاع الفقهاء من المنافقين أن يردوا اللغة للعصور البائدة، لاستعارة بعض

التعبيرات المحنطة، وإعادة الحياة إليها مرة أخرى، أوامرك يا باشا، طلبات السعادة.. أخبار معاليك ويطلق على هـذه التعبيرات مسح جوخ، لماذا الجوخ لأنه القماش الغالى الذى كانت ترتديه الطبقة الإرستقراطية زمان، ومن الأشياء التى تعينك على التفوق والتميز بين المنافقين، الاندهاش لكل كلمة يقولها مديرك، وإضفاء صفة العبقرية على كل ما يأتى به من أفعال أو أقوال، فإذا شرد قليلاً تقول، كان الله فى عون سيادتك، مصالح الناس شغلتك الشاغل، ارحم صحة سيادتك شوية، وإذا غير أثاث المكتب تقول: يا فندم سعادتك أكيد فنان، ده ذوق فنان، سعادتك درست ديكور فين؟! وإذا دخل الحمام تقول له، الله، الله، سعادتك شفيتم يا فندم.

ومن الأشياء التى يجب أن تحرص عليها يا عزيزى أبناء المديرين، يجب أن تعاملهم كأنهم أبناؤك أنت، وأفضل كمان، ابنك اشخط فيه زى ما أنت عاوز، اضربه، عذبه، لكن ده ابن المدير، فإذا كان الولد شقى وخبطك بزجاجة فى وجهك، أو نتف شنبك أو عملها عليك إياك أن تتعصب، تحمل وابتسم وقل فى أهمية، الولد يا فندم عنده طاقات هايلة، طالع لسيادتك بالضبط، ربنا يحميه، فإذا اجتزت هذه المرحلة، فأنت الآن برتبة منافق ثان، ولكى تترقى إلى منافق أول، يجب أن تكون عندك القدرة على سرعة التحول، فإذا دارت الدوائر على

المدير القديم وعزل من منصبه، يكفى جدًا أن توصله للأسانسير وتتمنى له حياة سعيدة، هكذا "كلمتين ورد غطاهم" لتعود مسرعًا إلى المدير الجديد متهللاً بشوشًا وبصدق وعفوية تقول له أيوه كده يا باشا، المصلحة مستنية سعادتك من زمان، ولا يصح إلا الصحيح، الطفل الأمور ده ابن سعادتك، ما شاء الله، نفس لمعة الذكاء، الله أكبر، أنا ما بحسدش.

هكذا أستطيع أن أعطيك رتبة منافق أول وأنا مستريح، ولكن يا عزيزى لن أستطيع أن أعطيك شهادة ضمان لأن تستمر هكذا، فقد يطلع لك مدير نظيف، شريف، كشر، بتاع شغل، تفاجأ وأنت داخل عليه لتقرأ قصيدة الترحيب اليومية التى سهرت فى كتابتها طوال الليل، تفاجأ بهذا المدير الغتت يصدمك قائلا: روح شوف شغلك. اتفضل يا أستاذ، الذى يزيد الطين بلة أن يطلع هذا المدير من النوع الذى لا يحضر أطفاله معه ليلعبوا فى المصلحة.

أكلمك محسن بيه

الموبايل على ودنها وتتكلم بعصبية شديدة، فى يدها الأخرى قرطاس أيس كريم وتقود السيارة بسرعة جنونية، معتمدة على أصبعين فقط، بهما توجه بهما الدركسيون وبين اللمسة واللمسة، تصرخ فى التليفون!! أنا تقعد لاطعنى ساعتين وماتجيش؟! خلاص.. انتهى.. لأمش راجعة.. أنا خلاص فى صلاح سالم مروحه ع البيت ولا فارق معايا.. تقف بجوارى فى الإشارة وهى منهمكة فى الحديث والجيلاتى، تنظر نحوى بجرأة ثم تدير وجهها للناحية الأخرى، كأننى عاكستها وأنا لم أنظر لها حتى، ثم تعود وتصرخ، "اسمع أنا اللى ما يعبرنيش ولا أعبره"، لا أعلم لماذا أحسست أننى المقصود بالجملة الأخيرة تلتفت نحوى مرة أخرى لتتأكد أننى لم أعبرها بعد، ثم تعود وتدير رأسها وتقول.. "إنت ماكنتش تحلم أنك تعرف واحدة زيى".. أخيرًا الحمد لله.. الإشارة فتحت.. انطلق مبتعدًا عنها قدر المستطاع، انظر فى المرآة، إنها لا تزال خلفى بسرعة مهولة، ربنا يستر، افسح لها الطريق أحسن، انحرف إلى اليمن قليلاً مشيرًا لها بيدى.. عدى،

ولكنها تنحرف فى اللحظة نفسها إلى اليمن، وتدخل فى سيارتى من الخلف بكامل قوتها، فتقفز سيارتى إلى الرصيف، كقطة يطاردها كلب مفترس، وتتحول بقدرة قادر إلى سيارة سبور.. (هاتش باك) حيث دخلت سيارتها فى الشنطة والكنبة الخلفية فلم يعد لها أثر، أنزل من السيارة، وهى أيضًا تنزل من سيارتها، فى يدها الموبايل والآيس كريم، أخيرًا هى تنهى مكالمتها مع من لطعها ساعتين ولم يجيء، وهى تقول: بلا باى أحسن عملت حادثة، لا مفيش حاجة، أنا كويسة.

قالت إحدى السيدات الواقفات شوف ياختى البنت!! كسرت عربية الراجل وواقفة ولا هامها، وردت عليها زميلتها قائلة، شايفة البجاحه هو إحنا كنا بنات ياختى؟!

وبدأ بينهما حوار راقٍ حول الصراع بين الأجيال، لم يكن يهمنى أن أسمعه على الإطلاق وأنا فى هذه الوكسة، وقال شاب لطيف، وهيه خبطته إزاى يعنى، تلاقيه كان بيعاكسها، ما هو كل واحد راكب عربية فاكر نفسه فالنتينو، أما هى ففى ثوان كانت تتكلم فى الموبايل، "ألو بابى، أنا إيناس، عملت حادثة فى صلاح سالم، معرفش، هوه اللى كان ماشى قدامى" بعد فترة أتى الأب المهم ما إن رآته حتى ألقت بنفسها فى أحضانه، فربت على كتفها بحنان أبوى رائع، وقالت وهى تبكى "أعصابى يا بابى أنا منهارة" فأخذ يهدأها قائلاً، خلاص يا ماما ماحصلش حاجة إهدى، إهدى أنت، ونظر إلى سيارتى وقال مالكوا

مكبرين الموضوع كده ليه؟! شوية سمكرة ودوكو ترجع أحسن من الأول كمان، قلت له يا فندم لقد كانت تقود السيارة فى يدها اليمين الموبايل، وفى يدها اليسرى الآيس كريم، هنا غضب محسن بيه.. فقد عرفت اسمه بعد ذلك، وقال: اسمع أنت ح تربى البنت؟ يكون فى علمك دى متربية أحسن تربية، الخبطة أنا كنت ناوى أعملها لك، وإنما مادام أنت طلعت كده اضرب دماغك فى الحيط، ياللا يا أنوس.. وأخذها وانصرف، قال أحدهم وهو يقطمنى، يا أخى كانوا ح يعملولك العربية، لازم تنسحب من لسانك وتفتى، أهى طبّلت على نافوخـوك.

تركت السيارة، عفوا النصف سيارة وأقسمت ألا أترك الموضوع، إذا كان هو محسن بيه أنا أعرف طلبة بيه، ولن يمر الموضوع على خير، وأكلمه، طلبه بيه، أنا يوسف، حصل كذا وكذا، يثور، ينفعل يقسم طلبة بيه أن يعيد لى حقى تالت ومتلت، ويمر أسبوع وأكلمه يرد بحزن، أصبر أصل أنا لما اتدخلت محسن بيه أبوها كلم منصور بيـه فاكرخ بهننى، بس وحياتك أنا ما نسيت الموضوع كلمت وهبى بيه وح يرد عليا، انس، الموضوع ده بقى تحدى بالنسبة لى، إنت خرجت من الحكاية، مش مصدقنى روح لوهبى بيه ح تلاقى الموضوع قدامه، وذهبت إلى وهبى بيه، الذى استقبلنى بحب جارف وقال لى طلبات طلبه بيه أوامر، بس البنت وأبوها كلموا ناصف بيـه عشان يلموا

الموضوع، أنـا بقى صعدته لمرتضى باشا، ونـزلت من عنـد وهبى بيـه وقد اتخذت قـرارًا أن أكلم أنـا الأسطى بلبل السمكرى لكى يعمل لى العربية، وقد توسط لى عنده الحاج ضيف بتاع وكالة البلح.

زرأ، برأ، واستخبى فى الورأ

مشهد كوميدى جميل، وممتلئ بالمعانى، فى فيلم عنبر، يحاول عزيز عثمان هو وليلى مراد، الوصول إلى مكتب أنور وجدى بالتياترو ولكن ممنوع الدخول لغير العاملين، يستوقفهما إسماعيل ياسين ورأسه وألف سيف ألا يدخلا، ولكن فجأة، عزيز عثمان يتأمله، ويحملق فى وجهه كأنه يعرفه قبل ذلك ويسأله: أنت كنت شغال فين قبل كده يرد إسماعيل ياسين ببراءة فى الجمرك، هنا يضحك عزيز عثمان فى انتصار: ها.. آه.. أيوه.. إنت بتاع الجمرك.. فاكر الحكاية إياها؟ يرد إسماعيل ياسين فى رعب، حكاية إيه؟ يقول عزيز عثمان بثقة: حكاية الجمرك.. أنا حاوديك فى ستين داهية. هنا ينهار إسماعيل ياسين ويسمح له بالدخول. الموقف نفسه يتكرر مع شكوكو. ومعنى النكتة أن كل واحد فينا له سقطة أو خطأ يريد أن يخفيه، وأكثر ما يخشاه هؤلاء الذين يعرفونه عنه، وأكبر تهديد لأى منا حينما يدخل أحدهم ويقول.. هه.. أقول؟ أبعبع.. أكشف المستور؟ أنا معايا ورق ومستندات؟ هنا

يتحول الشخص المهدد إلى فأر مزنوق فى ركن لا حول له ولا قوة، وحينما كانت الأيام جميلة كان العشاق إذا افترقوا.. يعيدون الصور والجوابات إلى بعضهم البعض لإثبات حسن النوايا، ولأن هذه الأيام خلاص دخلت فى الأبيض والأسود، ودخلنا فى عصر المعلومات، صارت قوة المرء ليست فى فلوسه ولا فى أملاكه ولا فى علاقاته، وإنما بقدر ما يحتفظ بمستندات تدين آخرين، وكأنه كمواطن فاسد يحتمى بفساد الآخرين بل وصارت المستندات مصدرًا من مصادر الافتخار فى القعدات، فقديمًا كانوا يتباهون بعزبة، بسراية، الآن يتباهون بأنهم معاهم ورق وصور وشرائط.

ويحكى الإنجليز فيما يحكون، أن ثلاثة أعضاء فى مجلس النواب البريطانى تلقوا على انفراد فى صبيحة يوم، برقية من مجهول يقول فيها: اللعبة انفضحت.. فما أضحى ذلك اليوم حتى كان الثلاثة قد اختفوا، وبحث أصدقاؤهم عن أثر لهم فلم يجدوا لهم أثرًا، واتضح بعد ذلك أن الذى أرسل هذه البرقية، راجل لطيف وحب يهزر معاهم شوية. وقصة أخرى حدثت فى أمريكا، عن أسقف معروف بين قومه بالتقوى والصلاح، وكان له عند الجميع احترام وفير، واستيقظ يومًا وأفطر وتهيأ للخروج، ثم تمهل ليقرأ بريد يومه، فهذه دعوة إلى حفلة خيرية، وهذا رجاء لحضور ندوة عن التقوى والصلاح، وهذا قس يدعوه إلى أن يخطب فى كنيسته، ولكن خطابًا بين هذه الخطابات هزه

هزة عنيفة، ولم يكن فى الخطاب كلمات كثيرة كان به، "لقد عرفوا كل شىء فانج بحياتك"، واختفى الأسقف تمامًا بعد ذلك وإلى اليوم يبحثون عن سبب هذا الاختفاء، قال بعضهم إنه ألف كتابا جنسيًا استعار له اسمًا غير اسمه، وقال بعضهم إنه تورط فترة من حياته فى علاقة آثمة، ولم يقل لنا أصحاب هذه التفسيرات هل حدث هذا فى شبابه؟ هل فى كهولته؟ المهم أن الناس تنتظر منه أن يكون رجلاً ورعًا طوال حياته، حتى قبل أن يبزغ نجمه ويعرف بين الناس بهذا الصلاح.

وأنت أيها القارئ ماذا يكون حالك إذ اتى آت يفتش فى حاضرك أو فى ماضيك عن ثغرات؟! أرجوك ألاَّ ترتدى مسوح الرهبان وتدعى أن حاضرك أصفى من الماء الرقراق، وأن ماضيك أبيض من اللبن الحليب.

فالبت الشغالة التى كانت تعمل عندكوا من عشر سنوات، لو تكلمت ح تجرسك وخد بالك، كلما لمعت.. وتألقت يحلو لبعض الناس أن يقول فى جلسة ودية، انتوا عارفين ده أساسه كان إيه؟ أنا أقول لكوا: ده كان شغال مع عصمت بيه النعناعى، ثم يبتسم فى خبث، وانتوا عارفين مزاج النعناعى، ثم يغمز بعينه وهكذا يتهمك بالقواده فى لحظة، وسواء كان هذا صحيحًا أم لا، فالأمر لا يخلو من

أن تلتقى بعد ذلك بأحدهم فإذا به يقول لك بابتسامة صفراءت وإيه أخبار النعناعى يا عم، لسه بتشوفوا بعض؟

وبالتالى يا عزيزى أنصحك أن تكون حريصًا طوال حياتك، فورقة واحدة عليك يمكن أن تقلب حياتك كلها جحيمًا، يقولون إن فلانًا تقاضى رشوة وتقوم الدنيا ولا تقعد ليس لأنه أخذ رشوة، ولكن لأنه لم يكن حريصًا بما يكفى، ففاحت رائحة الرشوة، لأنه لم يرش معطرًا فى الجو بعد أن طبخ الطبخة، هل سمعت يا عزيزى عن غسيل الأموال القذرة؟ تأمل معى التعبير وكم المفارقة التى فيه، لقد جربت ذلك ذات يوم، حيث وضعت المدام القميص بالفلوس بما فيه فى الغسالة، ولم يقبلها منى أحد بعد ذلك، فليس الكل ينجح فى غسيل أمواله بالطبع.

أتصور أن الأوراق والمستندات لو دخلت بيوتنا لصارت الحياة فظيعة، البنت مقصوفة الرقبة ذات العشرين عامًا، خارجة بعد نص الليل، يخرج الأب من مكتبه هائجًا ثائرًا رايحة فين يا بنت؟ تقول فى بجاحة.. نازلة. يرد فى غضب: فى نص الليل؟!! تقول فى بجاحة أكثر.. بقولك إيه، أنا عندى ورق بكل المخالفات اللى إنت عاملها، وعارضين عليا ١٠٠ ألف دولار عشان اطلعهم، أنزل ولا ما أنزلش. يرد فى استسلام: أنزلى بس ما تتأخريش. صدقونى، بعض الناس يجدون الخطأ، وكأنهم عثروا على كنز دفين.

أنا ما ليش حد!

لا أعلم لماذا كان أصدقائى يصرون على أن أشاركهم مباريات كرة القدم فى الشارع، برغم نفسى المقطوع وعدم مقدرتى على مجاراتهم، أوقفونى فى الجول وفشلت، اعتمدوا على فى مركز الباك، فكان مهاجمو الفريق الآخر يعتبرونى واحدًا منهم، وحينما استقر بهم التفكير إلى أن يعينوننى حكمًا، كنت أسرح فى قصيدة أؤلفها وأنسى الصفارة، فكان الخلاف بين الفريقين يحتدم، الكورة دى فاول، لأ، مش فاول ده كتف قانونى، هنا كنت استخدم حقى كحكم وأوقف المباراة.. وأقول لهم، نتناقش، اقنعونى واقنعكم، وفى ليلة صيف، كنا آعنى كانوا يلعبون فى الشارع، وأنا قد استقر دورى كمعلق على أحداث المباراة، وكان يلعب وقتها نخبة منتقاة من أبناء الكبار فى البلد، وشاط أحدهم الكرة فكسرت زجاج سيارة جديدة كان صاحبها يمر بجوار المباراة، فنزل من السيارة، وأخذ ينهال علينا سبابًا وأقسم أن يبيتنا جميعًا فى التخشيبة، وانصرف، وجاء البوكس بعد عشر دقائق ونزل منه الضابط

وقال لنا، اطلع ياد إنت وهو فى البوكس ليلتكوا سوده، لم يكن يعرف بالطبع أبناء من هؤلاء؟ وفشلت كل محاولاتى فى تهدئته وإقناعه بأننى شاركت فى المباراة كمعلق فقط، ولا أذكر أن معلقًا رياضيًا بات فى القسم، ولكن أصدقائى الله يعمر بيتهم أخذوا الموضوع ببساطة واستهانة وقالوا له، سنطلع معك ولكن ذنبك على جنبك، هنا ثار الضابط وأقسم أن يعلقنا جميعًا من رجلينا إلى أن يظهر لنا صاحب، هنا أشرت له بهدوء أننى كنت فقط أعلق على المباراة، فحبذا لو استثنانى من حكاية التعليق من الرجلين هذه، ودخلنا القسم.. وهو مستمر فى إهاناته عيال قللاة الأدب أنا ح اربيكوا، كانت تجربة مرعبة بالنسبة لى.. فأبى يرحمه الله كان لا يقف فى البلكونة إلّا وبطاقته فى جيبه، وحينما طلب ذات مرة للحضور إلى مديرية الأمن لإنهاء أوراق عادية جدًا خاصة بعمله، ظل ليلته كلها ساهرًا يراجع أوراقه أكثر من سبعين مرة.

جلس الضابط على مكتبه ونحن جميعًا واقفون أمامه كخريجى الأحداث، ونظر لنا نظرة طويلة وقال بتلعبوا فى الشارع، شارع أبوكوا، وتكسروا عربية الراجل كمان، أنا حاوريكوا.. هنا قال ابن أكبر واحد فى الكبار الذين يلعبون فى الفريق، بقولك إيه ما تزودش فى الكلام، ليك حق تاخده.. هنا ثار الضابط ثورة عارمة وأقسم أن يلقنه هو بالذات درسًا لن ينساه، وقال: يا متولى.. ودخل متولى وهو لا

يفرق كثيرًا عن فرج الذى اغتصب سعاد حسنى، فى فيلم الكرنك، هنا قلت له يا فاندم سعادتك أنا كنت باعلق على المباراة بس.. أنا ما لعبتش. أنا ماليش دعوة هنا تحرك زميلنا بجرأه وأمسك بسماعة التليفون.. وقال ألو.. بابا أنا فى قسم المهندسين.. لا.. مافيش حاجة.. راجل كسرنا له قزاز العربية.. وعامل مشكلة وقلت له ادفعلك ثمن الزجاج قَلَّ أدبه علينا.. فيه مين هنا؟ لا.. ده نقيب معاك أهوه.. أمسك الضابط بالتليفون.. وقال: ألو.. ثم فجأة انفرجت أساريره وانتفض واقفًا فى سعادة غامرة مفتعلة، واحمر وجهه وتوتر وقال يا باشا والله ما قاللى!! إطلاقًا يا باشا!! مافيش حاجة خالص.. طبعًا يا فندم.. ثم وضع السماعة ونظر إلى زميلنا بلوم وعتاب المحبين وقال له فى دلال معقوله!! مش تقول؟! يا خبر أبيض!! ده إحنا زارنا النبى النهاردة.. اتفضلوا اقعدوا. يا متولى.. حاجة ساقعة للبهوات.. ونزل طقم ساقع.. وبعدين طقم سخن.. وامتد بيننا الحوار العائلى اللطيف.. تكلمنا فى الفن والكورة. وعرفنا أنه أهلاوى متعصب تمامًا.. مثل ابن الباشا الكبير.. وفى النهاية أوصلنا البوكس نفسه واحد واحد إلى بيوتنا معززين مكرمين، ولم أنس أن أقول له وأنا خارج من القسم.. إننى كنت فقط أعلق على المباراة.

ذهبت إلى البيت كان أبى فى انتظارى فى البلكونة، مرتديًا الجاكت فوق البيجاما والبطاقة فى جيبه كالعادة، وسألت نفسى: ماذا لو لم يكن

معنا ابن الباشا وقتها.. هل كان متولى سيعاملنا بهذه الرقة؟ وسألنى أبى فى قلق: إيه اللى أخرك ده كله يا بنى، قلت له أبدًا.. أنا كنت باعلق على المباراة.

كيف ترشو الوزير؟!

هذه حكاية وقعت فى البلاد الروسية قبل الحرب، فلا يخفى أن الرشوة كانت قد تفشت فى البلاد، حتى تطرقت إلى المصالح الحكومية، فكان الوزراء لا يرخصون لشركة من الشركات، ولا يسمحون بالمضى فى مشروع، إلاَّ إذا كان لهم من وراء ذلك حسنة، ولكن ليس من السهل أن تعرض على وزير رشوة، فهو أمر محفوف بالمخاطر، كما أنه يستدعى كثيرًا من اللباقة، وكان أحد الأمريكيين يطلب امتيازًا بمد خط حديدى، وأدرك أنه لابد أن يقدم مبلغًا إلى الوزير لنيل مبتغاه، فاشترى شمسية وذهب إلى الوزير فى يوم صحو والشمس مشرقة، وهو ممسك بالشمسية فبادره الوزير قائلاً: غريب أمرك يا عزيزى أتحمل شمسية فى هذا اليوم الجميل؟ فقال الأمريكى ولكنى متأكد يا معالى الوزير أن السماء ستمطر مطرًا غزيرًا بعد نصف ساعة، قال الوزير ولكن الأرصاد لم تنبىء بذلك، فقال

الأمريكى وأنا أراهن سيادتك على خمسين ألف دولار إذا لم تمطر. ما رأيك؟

فلما انقضت نصف الساعة ولم تمطر السماء طبعًا، خسر رجل الأعمال الأمريكى الرهان بلا شك، ولكن بلا شك أيضًا حصل على الامتياز بمد الخط الحديدى، دون أن يدفع سنتًا واحدًا للوزير على سبيل الرشوة، ولكن منافسى رجل الأعمال الأمريكى يؤكدون أنه قام برشوة هيئة الأرصاد كمان، والرشوة هى علاقة بين شخصين كل منهما يتردد فى المفاتحة، إنها مثل قصة حب بين اثنين من المراهقين فتى وفتاة، الواد خايف يقوللها "بحبك" لحسن تفهمه غلط، والبت فاهماه أساسًا غلط لأنه ما بيقولهاش، فإذا كان الراشى هو العاشق الخجول، والمرتشى هو العشيق المكسوف، فهناك أنواع من المرتشين تخطوا مرحلة المراهقة، فهو يفتح لك الدرج ويبص لك من فوق لتحت بيجاحة ويقولك فتح مخك، وتفتيح المخ هنا أن تلقى بالظرف فى الدرج، وهو موقف العاشق الخجول نفسه حينما اقتربت منه البنت المستحية فجأة وقالت له: بوسنى.

ولقد قابلت فى حياتى نوعًا غريبًا من الرجال، لا يمكن أن يقبل على نفسه مليمًا، كان موكلاً بتخليص مبلغ لى من إحدى الشركات، وكانت تلك هى وظيفته فى الشركة، فى البداية عقَّدوا الموضوع جدًّا، وأعطونى إحساسًا أن فلوسى هذه لن أراها ما حييت وذهبت إليه،

قلت له يا عم جابر اتصرف أنت، أنا محتاج الفلوس فسكت وتنهد كأنه يرثى لحالى، وسألنى: همَّا كام؟ كانت تلك عاشر مرة يسألنى هذا السؤال قلت له: عشرة آلاف جنيه يا عم جابر قال فى أسى: لا، كثير صحيح ـ ثم تنبه فجأة وقال لى المال الحلال ما يروحش، بكره يكونوا عنـدك، وذهبت إلى البيت أصف لزوجتى تعاطف عم جابر معى، وإحساسى نحوه بالأبوة، واقترحت عليها أن نعتبره أبانا الروحى، واقترحت هى أن نعلق لـه صورة فى أوضة الصالون، وأصرت زوجتى أن أكلمها فى الغد حينما يأتى عم جابر بالفلوس فى وجوده.. لتشكره بنفسها.

وجاء عم جابر بالفلوس فعـلاً، وأخذته بين ذراعى وشعرت بذلك الحنان الذى كنت أشعر به فى أحضان الحاج محمود أبويـا، الله يرحمه، قال عم جابر فى طيبة، عد فلوسك.

قلت له. أبدًا عيب يا عم جابر.

قال عم جابر.. بس عد

قلت له عليا النعمة ما افتحهم، أؤمرنى أنت، طلباتك قال عم جابر فى زعل، أنا قايم، إنت جايبنى عشان تشتمنى، قلت له طيب اتعشيت، قال واكل والحمد لله، قلت له خلاص أجيب لك رز بلبن، حتى الرز بلبن رفض عم جابر أن يتناوله بشمم وإباء.

فى البيت، ذهبت إلى زوجتى وأنا أرقص من الفرحة، المال الحلال ما يروحش، ولكنها خرجت من الحجرة الثانية مذعورة، وقالت دول تسعة، قلتها هما إيه.. قالت الفلوس تسعة بس ناقص ألف جنيه!!

وعرفت أسلوب عم جابر، فهو يخصم الرشوة من المنبع!!

كيف نتكلم مع الرئيس؟!

كل الذين تكلموا مع الحكام فى التاريخ، وتجاوزوا حدود اللياقة والأدب خسروا المعركة، بل وخسروا القضية التى جاءوا يكلمونه بشأنها، فالكلام مع الحكام فرصة ذهبية لا تتاح إلا للندرة، فالكل يتمنى ذلك، ولكن صعب، وبعض الذين لا يلتزمون بالحدود الأدبية فى مخاطبة الحاكم يضيعون هذه الفرصة هم أيضًا، ويبقى السؤال كيف تتكلم مع الحاكم؟

بعضنا يدرب نفسه على ذلك لا شعوريًا فيقولك. أه لـو بس أقابل الرئيس، ده أنا كنت أقول له على حاجات، فإذا حدث وقابل الرئيس يرتبك، يتلخم والحاجات تدخل فى بعضها، حيث يشغل نفسه بارتجال مقدمة طويلة من الثناء والمدح، محاولاً أو هكذا يتصور أن هذا سيجعل الرئيس ينظر إليه بعين الود، وهذا غير حقيقى فالرئيس يحب كل الناس حتى هؤلاء الذين لا ينظمون قصائد الشعر فى مدحه. وفى متابعتى لردود أفعال الرئيس لبعض الكلمات

التى توجه إليه أجده يبتسم لكل المقدمات الطويلة، وحينما يبدأ المتكلم فى عرض الموضوع الأساسى أجده يهتم ينصت جيدًا وبتركيز شديد.

وشكاوى الفلاح الفصيح التى أرسلها للحاكم فى الدولة الوسطى، فى عصر الفراعنة، كانت مليئة بالصدق والحقيقة، وكان الفلاح مصرًا فى أدب وبلاغة على عرض شكاواه. وأعجب به الفرعون وقام بحل جميع مشكلاته، فلابد أن نغمة الصدق هذه كانت جديدة على الفرعون الغارق فى ديباجات النفاق والتدليس، وهذه المباشرة والطرق المختصرة فى مخاطبة الحاكم، تؤدى غالبًا إلى الخير على المجتمع كله.

وأعجبتنى لقطة طريفة لسيادة الرئيس وهو يفتتح أحد الكبارى، كان يسأل أحد المسئولين: الكوبرى ح يفتح إمتى. ح يشتغل إمتى؟ والرجل يبدأ رده كالعادة بديباجة، أصل الموضوع سيادتك يا فندم ويكرر الرئيس السؤال ح يفتح إمتى.. ح يشتغل إمتى؟ كررها أربع مرات، إنه يريد تاريخًا.. أرقامًا حقيقية.. يوم كذا شهر كذا.

ولقطة طريفة أخرى حينما كان السيد الرئيس فى مجلس الشعب، بعد ولايته الأخيرة.. وطلع أحدهم بقصيدة عصماء وأخذ يتلوها بصوت عال.. وأطال.. وبدأوا يشيرون له بأن ينتهى منها، وهو مستمر.. وابتسم الرئيس وقال.. سيبوه كان زمانه خلصها.

صدقونى إن التعامل مع الحاكم فى أيام البناء والتنمية والتشييد، مختلف تمامًا عن أيام الحروب والثورات، فالرئيس دائمًا ما يعطينا شعورًا بأن الوقت يمر بسرعة، ويجب أن نلحق بركب العلم والتقدم والتكنولوجيا، فهو يريد أن نقدم له أعمالاً فعلية حقيقية، وسيسعد جدًا حينما يقف أحدنا ويقدم له فكرة، مشروعًا كبيرًا فى أربعة سطور وسيسحب ذلك أكثر بكثير من عشرات القصائد والخطب الرنانة.

ولاشك أن الاحترام والتبجيل للحاكم أمر مفروغ منه، ولكنه فقط يحتاج إلى إعادة الصياغة، فكم من رجال تكلموا مع الحكام فأضاعونا وأضاعوا القضية كلها، إن أحمد عرابى فى مشهده التاريخى أمام الخديوى توفيق كان مغاليًا فى مواجهته بندية، وكان يستطيع أن يشرح وجهة نظره بهدوء، ولا يجعل الخديوى يغضب وينفعل ويقول له ما أنتم إلا عبيد إحساناتنا، فيرد عرابى بخشونة أكثر وتولع الليلة، وتفقد الثورة العرابية حليفًا كان يمكن أن يعضدها ويساندها.

والطالب الذى واجه الرئيس السادات فى اجتماعه بطلبة الجامعة، وكلمه بلا لباقة مما آثار الرئيس السادات وصرخ فيه، أقف عندك اقف عندك، ورد الطالب عليه مذعورًا: ما أنا واقف يا ريس، وحينما اكتشف السادات أنه واقف، قال له زاجرًا إياه، أنت تكلم رب العائلة المصرية، وكانت هذه بداية لكارثة فى سبتمبر ٨١ من الاعتقالات

والسجن برغم أنه بدأ عمله كرئيس بهدم المعتقلات وإطلاق الحريات.

بل إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه، حينما جادلته امرأة بشأن المغالاة فى المهور، وكانت واضحة صريحة محددة، تراجع عن رأيه ببساطة وهو أمير المؤمنين وقال أصابت امرأة وأخطأ عمر.

وهناك ملحوظة اسمحوا لى أن أتجرأ وأكتبها، أن الرئيس كما يبدو لى ليس مولعًا بذكر إنجازاته الضخمة والكثيرة، وعدها وترتيبها، لأنه يدرك تمامًا ومن قلبه إنها رأى العين وملء السمع والأبصار، إنه يعمل ولا يترك تفصيلة لا يناقشها ولا يتابعها، ثم إنه لا يتوقف عند أى إنجاز بل يتجاوزه مسرعًا إلى إنجاز جديد.

لقد دخلت الجامعة يا ريس يوم توليت سيادتكم الرئاسة، وكنت من المتفوقين جدًا، واجتهدت جدًا كى أحقق شيئًا فى الحياة، وعملت أشياء كثيرة: كتبت للسينما والمسرح والتليفزيون أعمالاً مهمة، وكتبت للصحافة وألفت عدة كتب فى الأدب الساخر، وعملت مذيعًا بالتليفزيون، وتزوجت وأنجبت واشتريت بيتًا جميلاً، وسيارة فارهة، من هنا من بلدى لم أسافر إلى الخليج، ولم أغسل صحون فى أوروبا، فهذه القصص أصبحت قديمة لا تناسب العصر الجديد والروح الجديدة، ولكننى بالأمس فكرت فيما حققته فى عهد

سيادتكم اكتشفت أنه قليل جدًا، بل لا شىء بالنسبة لما حققته مصر، صحيح أننى لم تتح لى الفرصة لأن أتكلم مع الرئيس، لكننى باستغراقى فى عملى، ومحاولاتى فى العشرين سنة الأخيرة أن أعمل بجد، وأكون شيئًا كنت أحس أننى دائمًا أتكلم مع الرئيس.

كان يوم أصفر

ماذا حدث للبنت؟! يا ساتر يا رب.. البنت وشها أصفر كالكركم، أخذت أتحسس جبهتها التى بدت كجبهه عصفور كنارى، وصرخت كالعادة فى زوجتنا التى هى مسئولة طبعًا عن أى حاجة تحصل فى البيت ده، يا مدام.. ياستى.. البنت وشها أصفر كده ليه؟ ودخلت زوجتى.. ويالَلمفاجأة.. كان وجهها أصفر من وجه ابنتنا، ماذا حدث لكم؟ ما هذا الإصفرار العائلى المفاجىء!! أخذت أتاملها فى رعب وأنا أرى أمامى صفارين لبيضتين مسلوقتين بلا بياض ولكن ما هذا؟ السرير أيضًا أصفر!.. والستائر!! وكل شىء من حولى!! قمت مفزوعًا وإذا بى أنا شخصيًا أمام المرآة أصفر صفار مشمشى، هرولت إلى الحمام، كان القيشانى الأبيض قد تحول إلى اللون الأصفر أيضًا، فتحت الحنفيه الصفراء النحاسية، التى كانت فضيه بالأمس القريب، ونزل الماء منها، كأنه حليه حصا..

وكان يجب أن أتمالك أعصابى فى تلك اللحظة الصفراء المصرية فى حياتى، وفتحت النافذة.. ويا للهول (على رأى يوسف بك وهبى) كان كل شىء أمامى أصفر تمامًا.. كانت مصر كلها صفراء، وشها أصفر.. الشجر أصفر والمبانى صفراء، وكأنها لا حول الله يا رب عيانه، ألف سلامة عليكى يا مصر، ألف سلامة مالك؟! لم تكن تستطيع الرد حينما سألتها، فالتراب الأصفر كان يطبق على المراوح ويكاد يخنقها، كان الله فى عونها.. إرهاب.. فتنة طائفية وانفلونزا الطيور ومشاحنات.. واحتقانات لقد تحملت فوق طاقه البشر والدول.. الست دى والله جبل!! ونزلت مسرعًا إلى الشارع، كان البواب جالسًا يشاهد التليفزيون، عم يونس الأسمر وأولاده كانوا جميعًا صفرًا صفارًا عجيبًا، وكان التليفزيون يعرض فيلمًا قديمًا (أبيض واصفر) وكان عبد الحليم يغنى أصفر يا اصفرانى مين قساك عليا، الشوارع كلها كانت ملونة بهذا الغبار الذى أحاط بكل شىء، وقال مسئول الأرصاد وهو دائمًا ما يقول فى مثل هذه الظروف: إن هذه رياح موسمية آتية مش عارف منين؟ وقال رجال الدين فى الجوامع والكنائس إن هذا غضب من الله، وقال مسئول الداخلية إن مختلاً عقليًا هو الذى وراء ذلك بالتأكيد. وقال الحاقدون: واشمعنى إحنا يعنى اللى نصفر ونامس ثانية قاعدين فى التكييف ولا حاسين بحاجة، ولا هو الصفار مكتوب علينا إحنـا؟ وقـال المتفائلون: ده اختبار وإن شـاء الله ربنا هيفرجها وح تندع أهى، أجمل ما فى شعبنا هو ذلك

الأمل العجيب الذى يملؤنا فى أحرج اللحظات، إن شعبًا يستطيع الحياة لسبعة آلاف سنة لا يمكن أن ييأس، وفعلاً بدأ المشهد يتغير فى هول مفاجىء، من الأصفر إلى الأحمر، كل شىء صار مصبوغًا باللون الأحمر بشكل مرعب الشجر أحمر والمبانى حمراء. وقال عم بدوى الجالس على المقهى يشد أنفاس المعسل، وقد صار وجهه فى لـون الرمـان، ما تقلقوش ياخـواننا.. ح تندع، أكيد ح تندع ده ربنا لطيف بعباده، وأخيرًا، فعلاً ندعت. قطرات من السماء بدأت تنزل من السماء بالتدريج.. نقطة.. نقطة.. ويعود المشهد فى النهاية لصورته الطبيعية، وتزدحم المقاهى وتشتغل قنوات الأغانى، ومعاكسات البلوتوث، لذا.. أرجوكم ألا تنزعجوا.. ولا تقلقوا على مصر.. مهما تعذبتم، ومهما عانيتم.. فهى فى النهاية.. بالتأكيد.. ح تندع.. أعزائى.. حد عاوز حاجة منى قبل ما امشى!!

طالع نازل

فى مفيش شهر، هبط الدولار الأمريكى اتنين جنيه تقريبًا، دون إبداء أسباب أو مقدمات، حيث انتابت الجنيه المصرى صحوة مفاجئة، وراح رافس الدولار رفسة برجليه وقايم واقف على حيله، كيف حدث هذا؟! والنعمة الشريفة شاريه بسبعة وربع من واحد صاحبى الله لا يبارك له بأه، قال لى اسمع كلامى، وشيلهم للزمن، حيوصل عشرة، كانت كل المؤشرات تقول إن الجنيه المصرى يحتضر، فلم يعد يقنع به السايس أو الشحاذ، أو حتى أطفال الشوارع، بل إننى لاحظت أثناء سيرى فى شوارع القاهرة، جنيهات مصرية كثيرة ملقاة على الأرصفة سليمة أو ممزقة، لم يكلف أحد نفسه وينحنى ليأخذها، حتى تهفها مقشه الكناس بلا اكتراث لتلقى بها فى صفيحة الزبالة..

وغيَّرنا بالسعر الجديد، سبعة وربع.. وماله.. وما دام ح يوصل عشرة إحنا فى الأمان، وقال لى صديقى اللعين: أنا بخدمك عشان إنت

حبيبى واللاهى فيه واحد جاى ياخدهم، وفيه قرشين صاغ زياده، إنما أنت أولى، ومنذ صرت من أصحاب الدولارات بدأت أتابع كغيرى من رجال الأعمال ورجال المال أسعار العملات فى نشرات الأخبار، وفى الجرائد، متحدثًا فى الجلسات بلباقة وبوعى عن توقعاتى الاقتصادية بشأن ارتفاع الدولار الوشيك، وفجأة.. وكعادة المصريين.. نهض الجنيه المصرى نهضة كبرى، ووجه لكمة ساحقة للدولار أفقدته ٣٠٪ على الفور من قيمته، ماذا حدث؟ لم نشيد مصانع ضخمة، ولم ينتعش التصدير ولم نكتشف آبار بترول فجأة، كيف ارتفع الجنيه هكذا؟!

أجاب صديقى اللعين فهو إلى جانب أنه يبيع لى دولارات بسبعة وربع، يجيب أيضًا عن الأسئلة الاقتصادية على أساس يعنى أنه واد ابن سوق وفاهم، وقال: شوف.. معنى أن يرتفع الجنيه وينخفض الدولار، إن انتعاشه اقتصادية ستحدث فى البلد، وإن الدولارات اللى معاك دى، تلحق تتخلص منها، عندى اللى ياخدها على خمسة، خمسة وسبعين.. أنا بخدمك عشان إنت حبيبى.. كويس اللى ح تلاقى حد ياخدهم منك بالسعر ده.

أمام البنوك كانت طوابير المواطنين الذين يغيرون الدولارات بالمصرى وهم يتوسلون أن يقبلوها منهم، وهكذا تحول الدولار فى غمضة عين إلى غلطة وندمان عليها.

فى أسبوع واحد.. أعاد المصريون للبنوك ٢ مليار دولار مما يرشح مصر لتكون الدولة الوحيدة التى تعطى معونة لأمريكا..

وقال صديقى الخبير اللى مش طايق أشوف وشه، ولا أسمع صوته، إنه بنزول الدولار ستنخفض الأسعار، والذى حدث درجة الحرارة هى التى انخفضت، والنعمة الشريفة قاريها فى درجة حرارة العربية.. أربعة.. يوم ما اشتريته بسبعة وربع كانت درجة الحرارة ٣٨، وهمس لى أحدهم.. الجمارك نزلت.. قلت حلو.. وهمس لى آخر.. والبنزين طلع!! قال لى خبير العربيات بس العربيات نزلت، اللى شاطر يشترى دلوقت، عشان ح تطلع تانى، قال لى صديقى اللعين أوعى تشترى.. العربيات ح تنزل، أنت تشترى حديد، قال الآخر الحديد على شهر خمسة ح ينزل.. استنى لشهر خمسة.. إنت تشترى دلوقت أسمنت عشان بيقولوا ح يولع، تبيعه على شهر خمسة وتشترى حديد!! قال صديقنا وهو صاحب بنزينه، ما دام البنزين غلى كل حاجة ح تغلا، لما لتر البنزين يوصل ١٤٠ قرش يبأه كل حاجة ح تزيد ٤٠٪، قال أحدنا وهو مرشح لمنصب فى الحكومة: وماله لما يزيد البنزين يعنى، إحنا أرخص بلد بتبيع بنزين، دى السعودية اللى هيه أكبر دولة عندها بترول، اللتر عندهم بريالين، قلت له ما إحنا اللى النيل جايب بلدنا من فوق لتحت وقزازة المية باتنين جنيه يعنى لتر الميه أغلى من لتر البنزين، يبأه هو ده المشروع أنا أحط فلوسى فى المية.. أهو حتى يبأه غسيل أموال.

قال آخر وهو من المعارضة: يا جماعة حسوا شوية بالناس انتوا ما قريتوش عن الراجل اللى زهق من عيشته وكب على نفسه صفيحة بنزين وولع فى نفسه، قلت له شوف المفترى،ينتحر بلتر ٩٢، أهو ده التبذير والسفه اللى جايبنا الأرض، كان قدامه أنه ينتحر بالغاز الطبيعى، أهو ده متوفر وموجود، هكذا صارت قعدتنا اليوميه أنا وأصدقائى رجال الأعمال، بعد أن غيرنا الدولارات ورجعنا للمصرى.

وفجأة، رن تليفون صديقى اللعين، فإذا به يقول، معقولة، انت بتتكلم جد، طيب كويس اللى قولت لى، فيه إيه يا عم؟! قال.. اليورو ح يطلع طلعه جامدة قوى، هات المصرى اللى معاك ده.. أنا لازم أغيرلك اليورو، أنا بخدمك عشان إنت حبيبى.

أعزائى.. لقد قطعت علاقتى نهائيًا بهذا الوغد، ولكن.. أنا معايا شويه يورو، أكون شاكر لو حد عاوز يعمل فيهم أى مصلحة، وبأقل من البنك.

بيعه سقع

قالت زوجتنا وهى تتأمل سلسلة مفاتيحى: أنت لن تتعلم أبدًا، أعطيت مفتاح السيارة لسايس الجراج إنت حر بأه حيدغدغهالك متزعلش بعد كده، تناولت عرق خصاية وألقيت به فى فمى فى ثقة وقلت لها: لا لم أترك المفاتيح للسايس، قالت فى غيظ إذن أعرتها لأحد أصدقائك، أنت هكذا لا أمل فيك لن تتغير، انتظر حتى يعملوا بها حادثًا أو يقتلون أحدًا، وأنت اللى هتروح فيها، تناولت رأس الخصاية وقضمته باستمتاع وبرود، وأنا أقول لها لا لم أعر سيارتى لأحد.

هنا صرخت زوجتنا إذن أين مفتاح السيارة أجبنى؟ هل هى فزوره؟ قلت لها لقد بعت السيارة، خبطت بيدها على صدرها وكررت جملتى الأخيرة، بعت السيارة لمن ولماذا وكيف ودون أن تخبرنى؟ رقلت لها لقيت بيعه كويسه فبعتها، قالت بهذه البساطة السيارة التى عاشت معنا أجمل أيام حياتنا، السيارة التى فيها كل ذكرياتنا تبيعها

هكذا، وبدا النقاش يحتدم متحولاً إلى تحليل نفسى لشخصيتى، وكيف أننى رجل مستهتر وماليش عزيز.

ثم دخلت زوجتنا فى مرحلة بكاء محترمة، وكأن السيارة التى بعتها من بقية قرايبنا، أو كأننى بعت بنت عمتى ولا حاجة، ودخلت ابنتى التى لاتزال فى السادسة من عمرها، كم هى عاقله ابنتى ما شاء الله ماالعالى، وقالت لأمها خلاص يا مامى ماتعمليش كده بابى أكيد عارف هو بيعمل إيه، الله يفتح عليكى يا ابنتى ورثت دهائى كله، ثم قالت مادام بابى باع السيارة دى؟ أكيد ناوى يشترى طيارة، كم هى طموح هذه البنت إنها جيناتى الوراثية التى تتكلم.

ثم اختلت بى بعد أن هدأ الجو، وطلبت منى العمولة عن بيع السيارة، كم هى مادية ابنتى، هذه ليست جيناتى الوراثية، بالتأكيد مشكلة زوجاتنا أنهن يردن الاحتفاظ بكل شىء، من أول الزوج وكل متعلقاته، وأنت ماشى. وقد حدث أثناء الجرد اليومى أن وجدتها فجأة أمامى، تسألنى أمال فين العجلة بتاعة البنت؟ تناولت عرق الخص وقلت لها عجلة إيه؟ قالت بلهجة أكثر غضبًا العجلة، العجلة بتاعة البنت؟ قلت لها البنت كبرت على العجلة دى، قالت أنا ما بسألكش العجلة صغرت على البنت ولا لأ؟ أنا باسألك فين العجلة؟ قلت لها بهدوء بعتها لقيت لها بيعة كويسة وتكررت خناقة السيارة بالملى،

أنت مالكش عزيز، بالسهولة دى!! الشىء نفسه حدث، حينما دخلت زوجتنا الليفينج ولم تجد التليفزيون القديم، إلى أن فاض بى وقلت لها ما هم ح يبيعوا عمر أفندى يعنى هيه عجلة البنت ولا التليفزيون ح يكونوا أعز من عمر أفندى.

وبعدين أنا عارف باعمل إيه زى ما الحكومة عارفة هى بتعمل إيه، لقت بيعه سقعَ لعمر أفندى راحت بايعاه للقطاع الخاص، اللى ح ياخده ويلبس فى الحيط، والفلوس اللى إحنا ح ناخدها من البيعة دى ح نتنغنغ بيها، أنا ماشى بسياسة حكومتى، ونطرت عرق الخص نطرتين لكى انفض عنه الماء، وقلت لها والخصاية فى يدى: الخصخصة يا مدام هى الحل.. بعد أسبوع عادت المدام من قمصة عابرة عند حماتى، ودخلت البلكونة وإذا بها تصرخ حينما وجدت إعلانا على البلكونة يغطيها تمامًا ومضاء بالكهرباء، ما هذا؟ قلت لها ناس جولى وقصدونى، يأجروا البلكونة عشان يحطوا عليها إعلان، أنا لقيت البيعة حلوة، وخلصت فيها، وقامت حريقه فى البيت لا أعلم لماذا كل هذه الثورة يا مدام؟! انت مش عايشه فى البلد؟! فما كان منها إلا أن أخذت حقيبتها والبنت فى إيدها، وتركت منزلنا غاضبة، المشكلة الآن ليس فى كيف أرجعها إلى المنزل؟ ولا فى أن البنت وحشتنى؟ المشكلة أننى جاى لى بيعة سقع للشقة اللى إحنا عايشين فيها، جماعة خواجات عارزين يعملوها شركة وح يدفعوا بالدولار أعمل إيه؟!

ولذا أناشد الدكتور محمود محيى الدين، وزير الاستثمار، أن يكثر من أحاديثه التليفزيونية عن فوائد الخصخصة ولا يتركنى أحارب وحدى فى بيت لا يعرفون فيه قيمة أن تبيع كل شىء، مادمت تجد دائمًا هؤلاء المغفلين الذى يشترون أشياء لا قيمة لها بأسعار خرافية.

المشى جنب الحيط

ثلاثة أشياء إذا شيلتهم تعيش حياة هانئة، لا يعكر صفوها أى شىء: شيل الزايدة.. مادام اسمها كده، زايده!! فما الداعى لوجودها. وشيل اللوز، مادامت هاتان اللوزتان لا يأتى من ورائهما إلا الالتهاب والسخونة والعذاب. وشيل غدة المعارضة ما دمت لا تحب نومه البورش. وهذا ما فعلته وأنصحكم به نصيحة أخ، امشوا جنب الحيط، والمشى جنب الحيط ليس بالسهولة التى تتصورونها، إن له قواعد وأصول، فلست وحدك الذى تمشى، الحيط أيضًا يمشى، والماشى جنب الحيط، هو ذلك الشخص الذى يمشى فى منطقة وسطى بين النفاق والمعارضة، فهو لا ينافق بحيث يصبح وزيرًا، ولا يعارض بحيث يصبح نزيلاً فى أحد السجون ويطلع عين أهله، ولا يضايقك كثيرًا أنك لن تصبح بطلاً أو مشهورًا أو مثيرًا للجدل، فالأبطال الحقيقيون فى هذه الدنيا هم هؤلاء الذين يأتون إليها ويغادرونها بلا دوشة، ولأعط لكم مثالاً: كاتب صحفى عرفته يومًا

كان يطلق مقالاته النارية مهاجمًا أحد الوزراء المهمين، وكان يجلس وهنا فى الاعمدات، وهو يقسم أنه لن يهدأ له بال حتى يقيل هذا الوزير وبصراحة، كان صاحبنا معارضًا صنديدًا، جريئًا فى هجومه متوعدًا، وفى كل لقاء كنت أقول له خف شوية يا عم، كان يرد بثقة، أخف، أنا أخف، طيب اقرأ اللى نازل بكره.

وظل هكذا.. إلى أن اختفت مقالاته واختفى هو شخصيًا، وعلمت أنه فى السجن، وخرج صاحبنا من السجن.

ولما صار شخصًا آخر، انقلب ١٨٠ درجة، صار ينافق الوزير المهم نفسه نفاقًا بشعًا، وكان فى نفاقه لا يقل تألقًا عن هجومه، وفى دفاعه عن الفساد لا يقل عظمة عن محاربته للفساد، وفى كل لقاء كنت أقول له كالعادة، خف شوية يا عم، وكان يرد بنفس الثقة، أخف.. أنا أخف.. أنا بادى الراجل ده أقل من حقه، أقرأ اللى نازل بكره، وفجأة، المهم الوزير فى قضية فساد، ودخل السجن.. وصاحبنا فى ديله.

ومن يومها تعلمت كيف أدرب نفسى على أن أكون دائمًا، فى تلك المنطقة الوسطى الآمنة، فلا أنا محسوب على أحد، ولا أنا جزء من الحكومة، أمضى كراقص باليه محترف على أطراف أصابعى، فلا يسمع أحد وقع أقدامى، ولا يلتفت نحوى أحد.

وقد يحدث أحيانًا أن يحاول البعض استدراجى لمنطقة ما، فيهتف

بى أحدهم.. المقال الأخرانى جامد قوى، ده أنت مقطع ومشرح كل حاجة فى البلد، وأشياء من هذا القبيل، فأنفى ذلك بشدة، لا.. لم تأت على بالى كل هذه التفسيرات، لم أقصد هذا.. ولكننى أضع الملحوظة فى رأسى.. وفى المقال التالى.. وبحرفنه شديدة، أحرك المقال.. يمين شوية.

وهكذا مرت ثلاثة وأربعون عامًا من عمرى، محافظًا على السير بجوار الحائط آمنًا على نفسى، من كل التقلبات المفاجئة، موقنًا عن رضى أن التاريخ لن يذكرنى، ولن تحتفل القنوات الفضائية بعد أن أموت.. بعيد ميلادى، ولا بذكرى وفاتى، فالتماثيل لا تقام جنب الحيط.. وإنما تقام فى الميادين الكبيرة.

إلى أن حدث لى ما لم أكن أتوقعه، بعد هذا العمر، حينما ذهبت لأكتب مقالاً فى أحد المقاهى وجلست فى مكان، جنب الحيط، كالمعتاد، وأخرجت الورق والقلم، وبدأت أكتب.. ولكن.. ما هذا الذى تكتبه؟! قلت لقلمى، عاوز تودينى فى داهيه على آخر الزمن؟! كان قلمى وكأنه أصيب بحالة هيستيرية، كانت الكلمات تنزل من سن القلم وكأنها زيت مغلى مزقت الورق.. وقصفت القلم.

وأنا فى حالة يرثى لها، ماذا أفعل الآن؟ أحضرت كل الجرائد القومية وأخذت أقرأها محاولاً أن أهدئ قلمى، كانت الجرائد تؤكد أن بلدنا بخير، وأن التنمية زادت وأن الإصلاح شغال، الغريب أن

الجرائد المهدئة أصابت قلمى بحالة هياج أكثر وأكثر، أعزائى.. إذا لم تجدوا مقالى هنا الأسبوع المقبل فلا تتصوروا أن أحدًا منع نشر المقال، إطلاقًا.. وإنما أنا فى معسكر تدريب لرفع لياقتى البدنية فى رياضة المشى جنب الحيط، وحتى لا يحدث لى ما حدث للزمالك فى لقاء القمة.

زقزق العصفور.. صحّانى

تمامًا وملاصقة جدًا لشباك أوضة النوم، شجرة وارفة، بحيث إذا فتحت الشباك، أجدها أمامى مباشرة، أو تجدنى أمامها مباشرة، لا يهم.. مادام وجودها لا يسعدنى بالمرة، ولاشك أن وجودى أمامها لا يحظى عندها بترحاب كبير، والسبب فى الحقيقة لا يرجع إلى الشجرة نفسها، وإنما إلى مئات بل آلاف العصافير التى تقف عليها فى الصباح الباكر معتبرة إياها، مطارًا دوليًا أو مهبط عصافير يقع مباشرة بجوار أذنى تمامًا، لاحظوا أننى لا أدخل بيتنا إلا بعد الفجر مرهقًا مكدودًا، ولا أنام إلا بعد أن أقرأ الجرائد، والذى منه، قبل أن أدخل فى الغيبوبة، ثم أبدأ فى النعاس الاضطرارى، لتنفتح فجأة طاقة جهنم متمثلة فى تلك الأصوات البشعة، التى يصدرها على الأقل ألفان أو ثلاثة آلاف عصفور ملعون فى وقت واحد، فيما يسمونه ـ قال ـ زقزقه!! أى رقة فيما تفعله العصافير، قولوا لى بالله عليكم؟ هذه المناقير المدببة، التى لا تتوقف عن السرسعة أو الصوصوة عمال على بطال من صباحية ربنا، والتى لا يسمع أى منها الآخر، وكل عصفور لا يهمه سوى أن

يصوصو وحده دون غيره، وأن يعلو صوته فوق الجميع، هل يمكن أن يعطيكم ذلك إحساسًا بالشاعرية؟! لقد خدعنا يوسف السباعى ومحمد عبد الحليم عبد الله، ورواد الكتابة الرومانسية، فما إن يبدأ أى منهم فى وصف المشهد الرومانسى، حتى تزقزق العصافير، هكذا سيقع البطل فى حب البطلة فورًا، رحم الله كليهما، كانا بالتأكيد طيبين بحق، أعنى البطل والبطلة، فلابد أنهما أصيبا بأنفلونزا الطيور.

هل رأيتم معركة بين عصفورين؟! طبعًا لم تروا ذلك، لازالت فى مخيلتكم تلك الصورة الرومانسية التى رسمها لكم المؤلفون، ولكن أنا رأيت، وأعوذ بالله مما رأيت، لا الأسود، ولا النمور، ولا حتى الذئاب، تصل فى وحشيتها إلى ما وصلت إليه العصافير، هل رأيتم عصفورًا يفقأ عين آخر بمنقار وينتف ريشة بكل جنون؟ أنا رأيت ذلك. هل رأيتم عصفورًا يقتل عصفورته (اللى هى المدام بتاعته) وأولاده فى لحظة جنونية عبثيه ليس لها معنى؟ لا من أجل طعام ولا من أجل أرض، ولا دفاعًا عن الشرف؟ ثم بعد جريمته الشنعاء، وضحاياه مبعثرين فى القفص وقف ـ حضرته ـ يزقزق، ولا كأنه عمل حاجة، صوصو.. صوصو وتقولولى عصافير!!! بأه دى أخلاق عصافير، بلاش.. سأحكى لكم تجربة حقيقية عايشتها بنفسى.. وأحكموا أنتم.. كنت طفلاً فى الصف الأول الابتدائى وأحب زميلتى فى ـ التختة ـ حبًا شريفًا عفيفًا طاهرًا، طبعًا مش بمزاجى يعنى، وكانت ممارستى لمشاعرى لا تخرج عن كونى، أقف أمام بيتهم حتى

تطلع حبيبتى ـ الله يمسيها بالخير بأه ـ وتبص لى من الشباك، هكذا كان المشهد الوحيد فى العلاقة، طفل برئ قزعة، ينظر إلى فوق.. حيث طفلة بريئة تنظر إليه، والعصافير تزقزق برضه.. وإذا بعصفور حاقد، يحلق فوقى و.. و.. يشوه هذه اللحظة الرومانسية البديعة، ويعملها فتنزل فضلاته ـ الله يقرفه ـ فى عين الطفل البرئ الذى هو أنا، الحمد لله أن أنفلونزا الطيور لم تكن قد ظهرت وقتها!!

ومن كثرة ما سمعت ذلك النقار والشجار اليومى الصباحى، الذى يسمى بالزقزقة، حتى بدأت أفك شفرة اللغة العصفورية، وأدرك أن أى عصفورين يصوصوان ع الصبح كده لا يتناجيان وإنما يشرشحان لبعضهما.

وهكذا يبدأ الحوار اليومى آدى يا سيدى الاصطباحه والآن، آن الآوان أن أتكلم، أن أفصح عن رأيى الذى كتمته بين ضلوعى منذ أن فعلها العصفور إياه فى عينى، منذ ٣٦ عامًا، أقولها بملء فمى، وأعلن شماتتى فى الطيور كلها وهم يعدمونها بالملايين، لقد خدعتنا الطيور، خدعت البشرية كلها، وإذا رأيتم أسرابًا من الطيور تحلق فوق رؤوسكم، لا تنظروا نحوها بحب وانبهار، وإنما أغلقوا أعينكم ولنستعد لها من الآن ببنادق الرش، وخذ حذرك وأنت تنشن عليها، ولاحظ إن إحدى عينيك لا تزال مفتوحة، لاحظوا أيضًا التوقيت الذى ابتلينا فيه بأنفلونزا الطيور، فى وسط كل المصايب التى نعانى

منها، والغلاء والبطالة والإحباط، لتتأكدوا أنها كائنات منزوعة الرحمة، وقد ظننى الجيران قد جننت حينها فتحت الشباك فى عصبية فى الصباح الباكر، وصرخت فى عصفور رزل كان مصرًا على إزعاجى، حتى بعد أن رحل زملاؤه جميعًا، مستعيرًا أغنية إيهاب توفيق، هيه ياصاك إنت كمان.. صوصو.. صوصو.

اربطوا الأحذية

ما الذى حدث لنا يا ناس؟! حالة من التوتر والعصبية المفاجئة تنتاب أيًا منا فى لحظة، فيفقد أعصابه وأول ما يفعله يخلع حـذاءه، ولا أعلم كيف نخلع أحذيتنا بهذه السهولة، بينما ونحن نرتديها ندفسها فى أقدامنا بصعوبة شديـدة، واللبيسة تكاد تفرتك الحذاء أو القدم أو كليهما، والمسألة ليست قاصرة على ما تقرأونه فى الصحف عن الأحذية التى تطير فى مباريات كرة القدم، أو فى مجلس الشعب، وهذه ليست مشكلة، الخطورة الحقيقية تكمن فى أن ظاهرة الأحذية الطائرة صارت ظاهرة عامة.

كنت مارًا فى شارعنا أفكر فى مقال الأسبوع، محاولاً أن أجد الفكرة، وفجأة ارتطم برأسى حذاء نبيتى ببوز رفيع، كان منطلقًا كسهم من إحدى البلكونات عارفًا طريقه تمامًا، أمسكت بالحذاء ونظرت نحو البلكونة اللى فى التالت التى انطلق منها ـ وكان بالمناسبة

مقاس ٤٣ وهو مقاسى بالضبط ـ وإذا برجل يطل من البلكونة، ويصرخ فيَّا كأننى الذى حدفت نفسى بالحذاء، أنت.. يا كابتن.. الجزمة دى بتاعتنا، أيوه اللى فى إيدك دى، كانت زوجته من الداخل تصرخ فيه، وكـان واضحًا أنهـا مسألة عائلية جدًا، لم أشأ أن أورط نفسى فيها، وكـان الـزوج يبدو وكأنه لا يعنيه من الأمر سوى الفردة التى ارتطمت برأسى، وقـررت أن أنسحب من الموقف، وحدفت فردة الجزمة بكل قـوة نحو صاحبها الـواقف فى البلكونة، لترتطم ـ والله مـا كنت أقصـد ـ برجل آخر كان جالسًا فى البلكونة اللى فى التـانى يتصفح الجريـدة، الـذى نظر نحوى بشراسة، وهب واقفًا وكأنه ما صدق، أنت بتحدفنى بالجزمة يا حيوان، نهارك أسود، وتسمرت فى مكانى حائرًا بين رجلين أحدهما يريـد الجزمـة، والآخـر معه الجزمـة، وكلاهما يريد أن يقطعنى بأسنانـه، وإذا بالرجل الذى يقرأ الجريدة.. الذى حدفته أنا دون قصد بالفردة النبيتى ٤٣، يمسك بها ويرجع بذراعه للوراء كرامى جلة محترف، ويقذفها بمهارة وقوة يقصد عليها لترتطم، والله ما كان يقصد.. بزجاج سيارة فارهة كنت استند عليها، ولايزال صاحب الفردة اللى فى التالت يصرخ فيَّا.. أحدف الفردة يا حرامى والله العظيم ح أنزل لك، وأمسكت بالفردة، وأخذت نفسًا عميقًا وربنا وفقنى والحمد لله، أن أعيدها سالمة إلى

صاحبها، ولكن ما إن أمسك بها صاحبها.. فإذا بالمدام زوجته.. تحدفه بالفردة الثانية، التى ارتطمت ـ والله ما كانت تقصد.. برأس الرجل الثالث صاحب السيارة الفارهة التى تحطم زجاجها، وكان خارجًا من بيته والبواب خلفه يشير نحوى وهو يقول، أهوه، أهوه ده الراجل المجنون إللى عمال بيحدف الناس بالجزم.. وفجأة، تحول الشارع كله إلى معركة طاحنة، كانت الأحذية تطير فى استعراض أقل ما يوصف به أنه عالمى، فهذا جوز بنى ببوز عريض، وهذا بنص برتقالى حكاية، وهذه جزمة بيضاء بسوستة، وهذا بوت أسود برباط، وللحق لم يستخدم أحد من المتشاجرين مطواة أو سنجة أو شومة، كانت الأحذية هى سيدة الموقف، ثم بدأت البلكونات المحيطة تشارك ببعض الشباشب والصنادل.. وخرجت، ولا أعلم كيف خرجت، متسللاً.. من بين الأقدام والأحذية الملقاة وأطلقت ساقى للريح.

قالت لى زوجتى حين دخلت البيت: إيه ده؟ وأشارت نحو قدمى، فين الجزمة اللى أنت خارج بيها؟! كنت ارتدى فردة بيضاء، وفردة بنى، فقلت لها انت مش دريانة بالدنيا، ده كويس إنى لقيت دول وبعدين انت ح تحاسبينى، وبدأ صوتها يعلو ويعلو، ولم أطق صبرًا، فخلعت الفردة البيضاء وحدفتها نحوها، فتفادتها زوجتى

بمهارة تحسد عليها، وخلعت شبشبها البلاستيك وحدفته نحوى (بيلسع قوى البلاستيك ده محدش يخليه فى البيت) وإذا بشبشب صغير، يعبر المسافة التى بيننا.. طائرًا.. وكأنه رسالة واضحة من ابنتنا الصغيرة.. تقول.. اهمدوا بأه عاوزه أذاكر.

بختك يابو بخيت

لقد فعلت ذلك طوال العام الماضى، لا أعلم لماذا فعلت ذلك؟ ربما بدافع من الحماقة أو من الفراغ أو من التفاهة، أو ربما لأثبت لنفسى شيئًا أنا لا أحتاج فيه إلى إثبات، وهذا "الذلك" الذى فعلته رغم العناء الكبير الذى بذلته فيه، لم يؤد إلى نتيجة مختلفة عما كنت متأكدًا منه، يا لفضول القراء، تريدون طبعًا أن تعرفوا ذلك "الذلك" الذى فعلته رغم أننى أشرت بوضوح إلى أنه لم يؤد إلى شيء، تعلمون طبعًا أننا جميعًا حريصون على أن نقرأ البخت، وما تتنبأ به الأبراج كل يوم، ولا تنكرون بالتأكيد أننا نتأثر بما نقرأ حتى لو كنا نردد دائمًا يا عم ده كلام فاضى، ثم تسعد جدًا حين تقرأ سيادتك أن مالاً فى الطريق إليك، أو أن مفاجأة سارة ستحدث لك اليوم، أو لقاء عاطفى مع الحب القديم.

والذى فعلته أننى خصصت أجندة من أجندات ٢٠٠٤ "التى يمنحنا إياها البعض مع كارت لطيف مكتوب عليه كل سنة وإنت

طيب"، لكى أدون فيها يوميًا ما هو مكتوب فى الأبراج فى الجرائد الأربعة والتى تخصنى أنا تحديدًا، برج العذراء.

ولقد نقلت بختى من الجرائد بأمانة تامة، دون أن أضيف من عندياتى أى إضافات أثمناها، ولقد حدث كثيرًا أن عينى راحت على كلام بخت كده مكتوبين للجوزاء وللأسد، ولكنى استغفرت الله فى آخر لحظة وتمنيت لأصحابها أن ينالوا ما هو مكتوب لهم، قانعًا ببختى الذى أرادته لى جرائدنا القومية، ولم أهتم بأن أدون بختى المكتوب فى بعض الجرائد المستقلة أو المجلات العابرة، فأنا رجل أكتب فى صحف الحكومة ولا أقرأ إلا صحف الحكومة، وهذا طبعًا من بختى.

وفى مراجعة بسيطة لبختى فى العام المنصرم، وجدت أن هذه الجملة تكررت ١٧ مرة، "مال وفير فى الطريق إليك!!" طبعًا أنتم تتوقعون الآن أن هذا لم يحدث، لا.. لقد حدث فعلاً، فتلك فعلاً هى عدد المرات التى ميلت فيها على حبايبى طالبًا سلفة، ولم يردنى أى منهم خائبًا، وأنتهز هذه الفرصة لأهنئهم بالعام الجديد، ولقد تكررت جملة أخرى نحو ٩ مرات.. "صديق يقف إلى جانبك فى محنة"، وهذا أيضًا حدث فعلاً، حينما كان يضج الدائنون ويفيض بهم، ويطالبوننى بما استدنته منهم كان يظهر دائمًا ذلك الصديق الشهم، الذى يشيل الليلة ويدفع لهم، محولاً الديون عليه هو، مما جعلنى أقرأ فى بختى بعدها: "اليوم تفقد صديقًا عزيزًا" وإنى لأنتهز الفرصة مرة أخرى

وأقول له، وهو عارف نفسه.. اللى عند أبو حجاج عمره ما يروح وفرجه قريب وعيب قوى التسييح اللى هو مسيحهولى فى كل حته وقد تأرجح بختى فى خلال العام كما تأرجحت مشاعرى وحياتى.. ولكننى كنت أتقبل ذلك بكل رضا ودون أى اعتراض، فذات مرة قال لى البخت "تستحق ما حدث لك، لأنك أنانى".

ولكن، "أقول لنفسى" ماذا فعلت؟! أنانى إزاى؟! ده أنا اللى فى جيبى كله لغيرى، ومرة بعد ١٨ ساعة عمل متواصل بلا نوم يطالعنى البخت قائلاً، "اترك الكسل واجتهد فى الحياة".. روحت مطبق يومين صاحى، ويوم أن حصلت على جائزة فى الكتابة وأنا فى قمة سعادتى، كان البخت ينصحنى بأن أخرج من دائرة الأحزان، وإن ما حدث لن يتكرر إن شاء الله، أما البخت الذى تكرر كثيرًا ولم يحدث أبدًا.. "تزداد دقات قلبك مع حب جديد".

ونحمد الله إن زوجتنا لا تؤمن بالأبراج وإلا لقرأنا فى بختنا، إن كل شىء قسمة ونصيب.. وقد قرأت ذات مرة "مناقشة مفيدة مع شخص أكثر منك خبرة ونضجًا" وكان ذلك هو اليوم الذى قضيته بالكامل مع ابنتى التى لم تكمل الخامسة من عمرها بعد.

ولقد سعيت لمعرفة هؤلاء الذين يكتبون الأبراج، محاولاً أن أكسب صداقتهم وودهم، حيث إن لى طلبات معينة فى بخت ٢٠٠٥ أكون

سعيدًا بحق لو كتبوهالى، وإنى أناشدهم من هنا أن يتوصوا شوية ببرج العذراء السنة دى، ولقد علمت أن وزيرًا كان يؤمن بالأبراج بشكل كبير، لدرجة أن قراراته وإمضاءاته ومزاجه العام كان يتوقف على ما هو مكتوب فى برجه، وقد استطاع أحد الخبثاء فى الوزارة أن يصل بطريقة ما إلى هؤلاء الذين يكتبون الأبراج ـ كما أحاول أن أفعل أنا الآن ـ وأن يمليهم بنفسه تلك الجمل التى تسعد معاليه، من نوعية، "تستحق كل التقدير بسبب عطائك الكبير"، "رؤساؤك راضون عنك تمامًا"، "الكل يدعون لك بطول العمر"، وكان معاليه يبتهج حقًا حينما يقرأ ذلك، وحينما كان الجو العام يبشر بتغيير وزارى وشيك، كان معاليه فى قمة القلق والتوتر والعصبية، وكان البخت دائمًا فى صفة يحاول أن يسانده، فكان بخته جملاً من نوعية "لا تقلق أبدًا ستحقق ما تصبو إليه"، ومرة كتبوا له "لن يزحزك مخلوق من مكانك.." ومرة أخرى.. "لا يوجد أفضل منك فى موقعك"، وكانت هذه الجمل بمثابة مسكنات، تسعده قليلاً ثم يعود ويكتئب ويتوتر، مما جعلهم يكتبون له مباشرة بأه "معاليك مكمل فى الوزارة الجديدة"، ودخل عليه مدير مكتبه باسمًا وفى يده الجريدة، مبروك يا فندم معاليك مكمل فى الوزارة الجديدة، وفرح معاليه كل الفرح، هما أعلنوا التشكيل؟! فقال مدير مكتبه، لا يا فندم ده مكتوب فى البخت، ولكن للأسف تأتى الرياح بما لا تشتهى الأبراج، وأقيل معاليه من منصبه،

ولم يعد برجه يكتب فيه مثل هذه العبارات بعـد ذلك، ولكنى لاحظـت أن جملـة أخـرى مكتـوبة فـى بـرج آخـر تقـول، أنت الرجل المناسب فى المكان المناسب، وعرفت فورًا الوزير الجديد برج إيه!!

مش كده يا شيخ يوسف؟!

كانت نظرة مليئة بالسخرية والإحباط، تلك التى وجهها محمد أبو سويلم نحو الشيخ يوسف فى فيلم الأرض، حينما كان مجتمعًا برجال البلد يبكتهم ويلومهم واحدًا واحدًا، لأنهم جميعًا باعوا القضية حينما قال ساخرًا: والشيخ يوسف.. يا عينى ع الشيخ يوسف خلاص قعد فى البندر ونسى كل حاجة!! مش كـده يا شيخ يوسف؟! لا أعلم لماذا شعرت أنه يكلمنى أنا، ليس لتشابه الاسم فقط بينى وبين الشيخ يوسف، وإنما لإحساس بداخلى أن موقفى من الحياة السياسية لا يختلف عن موقف الشيخ يوسف، ويظل أبو سويلم ينزل بكلماته على أذنى كطلقات الرصاص، عمرنا ما ضعفنا، عمرنا ما انكسرنا عارفين ليه؟ عشان كنا رجالة ووقفنا وقفـة رجالة، وانتهى المشهد وأنا فى قمة الخجل من نفسى فعلاً، هل أنا أحسن من هؤلاء الذين يمشون فى المظاهرات، ويتعرضون للضرب والحبس الاعتقال ثم أيـن قصص البطولة التى سأحكيها لابنتى حينما أكبر؟ وماذا سأحكى لها عـن النضال وكفاحى زمان لما كنـا رجالة ووقفنا وقفة رجالة؟

وقررت أن أفعلها، سأنزل للشارع وألتحم بالجماهير، وأمشى فى المظاهرات، الداخلية تعطى تصاريح بالمشى فى المظاهرات، لنحصل على هذا التصريح ونمشيها ميرى، ونمشى فى المظاهرات آمنين، ولنبدأ رحلة كفاحنا السياسى، بمظاهرة صامتة هادئة، حضارية تضيف إلى تاريخى السياسى دون أن تقصف عمرى، خصوصًا أننى مش حمل شومة على رأسى، ولازقة فى كتفى ولا جزمة على قفايا، تصريحنا فى جيبنا والحكومة عندها خبر بينا وورقنا كله فى السليم.

وذهبت إلى الضابط المختص فى صباح يوم جميل، صباح الخير يا باشا!! نظر نحوى بضيق وقال: أهلاً وسهلاً.. خير قلت له بود شديد أنا سعادتك بس جاى عشان أقدم على تصريح، قال فى اقتضاب.. تصريح إيه.. قلت له برقة شديدة.. تصريح مظاهرة سعادتك، اعتدل الضابط فى جلسته وأخذ يتفرس فى ملامحى، مما أعطانى شعورًا بأنه يشك فى قواى العقلية، فرسمت على وجهى ملامح جادة وقور وقلت له، هيه مش مظاهرة مظاهرة يعنى، تقدر تقول مسيرة.. مسيرة صامتة، وأخذنى الضابط على قد عقلى وسألنى.. طيب وإيه الغرض من المسيرة دى؟ قلت له يا باشا: لاغرض ولا حاجة، بس عشان البت بنتى لما تكبر، نلاقى حاجة نقولها لها.. فسألنى الضابط مباغتًا.. أنت تتكلم باسم من؟! هل أنت تمثل نقابة مثلاً.. أو جماعة.. أو جمعية أهلية؟ قلت له لا يا باشا، أنا

فردانى، أنا أريد تصريحًا لى وحدى، أنا عاوز تصريح أمشى بيه فى المظاهرات، بس أحب لما أمشى أبأه ماشى قانونى سعادتك، قال الضابط مبتسمًا.. بس ده قانونًا ما ينفعش نحن لا نعطى التصاريح إلا لمجموعات ولا نعطيها لأفراد، قلت له فيه ناس كثير أكيد ح تطلع المظاهرة دى يا فندم، قال الضابط: ومين الناس دول؟ قلت له ناس.. ناس من الشعب.. ناس محترمة قوى يا باشا ناس ذوق ذوق ذوق.. وعلى ضمانتى.. كلهم من معهد الصم والبكم.. قال الضابط.. عمومًا أنا ح أديلك التصريح لأنى واثق فيك وفى الناس اللى معاك.. بس لازم تعرف إن فيه أماكن ممنوع فيها التظاهر، يعنى سيدان التحرير لا.. وميدان رمسيس لأ.. وسط البلد ما تقربوش ناحيته خالص.. قلت له باسمًا: إحنا ح نروح ناحية فيصل.. الهرم العب ده فصرخ الضابط محتجًا.. لا.. لا.. لا هرم ولا فيصل.. أنت ناقص تقوللى مصر الجديدة.. ولا مدينة نصر.. وطبعًا.. المعادى وحلوان والمناطق دى ممنوع فيها التظاهر منعًا باتًا، قلت له يا باشا أمال ح نعمل المظاهرة فين سعادتك؟! أشار سعادته إلى الخريطة التى خلفه، وقال: ده طريق مصر إسكندرية الصحراوى، فين الماستر.. بعد الماستر بثلاثين كيلو.. ح تبتدوا المظاهرة من هنا وح تخشوا جوه فى الصحرا، مش ع الطريق.. المسيرة ح تكون صامته طبعًا، وح تبدأ الساعة اثنين الضهر، وتنتهى الساعة ٣.. اتفضل.. التصريح معاك أهوه.

فى الوقت المحدد للمظاهرة، كانت سيارات البوليس والأمن المركزى فى الكيلو ١٣٠ فى الصحراوى، ولكن لم يكن هناك أى أثر للمظاهرة، كلمنى الضابط على الموبايل، أيه يا بنى.. فين المظاهرة هوه لعب عيال ولا هوه إزعاج سلطات وخلاص، قلت له جايين يا باشا، إحنا خلاص عدينا الكارته أهوه.

بعد جهد جهيد.. وصلنا إلى مكان التظاهر، ومشينا فى عز القيالة فى الصحرا، نعبر عن رفضنا.. كانت الشمس فى كبد السماء كما يقولون، وكان المتظاهرون يتساقطون واحدًا إثر الآخر، دون أى عنف من جانب الشرطة، والغريب أن الإعلام الغربى المغرض أذاع خبر القتلى.. والمصابين وكأن الشرطة هى التى فعلت ذلك.. وقال الإعلام المحلى إن جماعة من المختلين عقليًا ذهبوا ليتظاهروا فى الصحراء، فأصيبوا بضربة شمس، وقالت لى ابنتى وأنا راقد على السرير.. ورابط راسى.. وحرارتى أربعين.. وعملتوا كده ليه يا بابى.. قلت لها.. عشان كنا رجالة ووقفنا وقفة رجالة.

احنا سارقانا السكينة

لم يكن فى يده مدفع رشاش ولم يخبئ قنبلة فى جيبه، لم يكن ملثمًا بعينين مرعبتين، ولم يكن له أعوان مدربون على الإجرام، لم يكن سوى بنى آدم نحيل وقصير وعدمان، فى يده سكين تلم يستطيع أن يقطع بالكاد قطعة من الكيك الذى تقدمه الطائرة، ومع ذلك فإنه فعلها، أخرج السكين من الكيس بعد أن وضعت المضيفة صينية الطعام أمامه، ولم يخطف بها قطعة الكيك التى أمامه.. خطف الطائرة كلها بمن عليها، وأمر الطيار بأن يتجه إلى هامبورج، هكذا ببساطة وجلس الركاب فى رعب وابطين الأحزمة يتلون الشهادة، كيف حدث هذا لماذا استسلم الجميع؟ لماذا لم يحاول ثمانية وأربعون راكبًا مع كل منهم السكين نفسه غير الشوكة والملعقة أن يدافعوا عن أنفسهم؟ لماذا لم يقف أحد الركاب ويصرخ فيه، أقعد يا روح أمك وخلى ليلتك تعدى، بالتأكيد كان قعد، المشكلة أننا مذعورون فأصبحنا بلا رد فعل.

انظر إلى منظر الركاب والمضيفة تلقى عليهم التعليمات الروتينية إذا حدث أى شىء، كيف يضعون جهاز التنفس وكيف يخرجونه من تحت الكرسى، الكل يحدق فيها فى ذهول، ولا أحد يستفيد بكلمة واحدة، الكل يقول لنفسه هو لا قدر الله لو حصل حاجة للطيارة، ح نلاقى وقت نعمل ده كله، إن الطبيعة الإنسانية أصيبت بلا شك بمرض عصرى جديد، ألا وهو التنتيح، أسأله ماذا فعلت حينما حدث الزلزال؟ يرد بابتسامة.. ولا حاجة قعدت متنح كده لحد ما خلص، والذى اكتشف زوجته مع عشيقها لم يخرج مسدسه ويطلقه عليهما، وهو يصرخ.. خاينة.. بل وقف مشدوهًا مذهولاً.. وتنح برضه، والذى اغتصب فتاة العتبة منذ عدة سنوات علنًا وأمام الجميع، لم يتدخل أحد وإنما وقف الجميع متنحين برضه، لم يعد قاطع الطريق أو الهجام يحتاج إلى مواهب خاصة فذة، كتلك التى كانت عند الخط بتاع الصعيد، أو سفاح كرموز، هؤلاء المجرمون العباقرة الذين دخلوا التاريخ يستطيع الواد (فتلة) الذى يسقط من طوله، إذا فقط نفخته أن يقفل شارع بحاله، طالما نحن مستسلمون هكذا، وسلبيون هكذا فلا داعى أن نحمل قاطع الطريق أكثر من طاقته.

أتخيل نفسى ماشيًا فى شارع مظلم - ولماذا مظلم حتى هذا لم يعد مهمًا - وإذا بقاطع طريق يهجم علىّ وفى يده قصافه، ويقول لى: هات الفلوس اللى معاك من سكات أحسن ح أشرحك، أتأمله.. إنه مجرد

باهت لإنسان، فأنا طولى ضعف طوله كما أننى أعرض منه بكثير، ولكننى بكل ود أخرج ما فى جيبى وأعطيه له بكل هدوء، لاشك أن المشهد الجميل الذى عمله الفنان محمد صبحى مع الرجل النحيف القصير، الذى كان يردد كلمة واحدة.. "ما تقدرش" أصبح مشهدًا له مغزى كبير، أتذكر وأنا أتأمل حادث الطائرة المخطوفة بسكينة المانو، جملة عتيقة كنا ندرسها فى المدارس، اسمها الدفاع عن النفس، أصبحت الآن خرافة فى عصر تحولت فيه إلى سلعة، يمتهنها بعض الناس فأنت تشترى من يدافع عنك وتسميه بودى جارد، ولكن هذا مباح لطبقة معينة، من يدافع عن الإنسان غير نفسه، إنها منحة إلهية أعطاها الله سبحانه وتعالى لكل مخلوقاته، فإذا هاجمت قطة ح تخربشك، وإذا هاجمت كلبًا ح يعضك حتى الحشرات يا ناس تدافع عن نفسها.

واسمحوا لى أن أقص عليكم قصة بديعة لتشيخوف، اسمها المغفلة: تحكى عن رجل ثرى أحضر مديرة المنزل، ليعطى لها أجرها من الشهور التى عملتها عنده، قال لها اسمعى يا مدام، انت اشتغلتى عندى ثلاثة شهور الشهر بثلاثين روبل، قالت المربية فى ضعف، لقد اتفقنا على أربعين يا بك، قال بحزم ثلاثين.. مفيش غير ثلاثين ثم الحساب، نخصم أيام الآحاد والإجازات هكذا، نخصم ١٥ روبل، انزعجت.. حاولت أن تتكلم وقالت إن الإجازات لا تخصم.. قال لها

بعنف.. سأخصمها يا مدام.. وأضاف.. ثم إن طقم الشاى الذى انكسر الأسبوع الماضى والذى ورثته من أبى يساوى الكثير ولكنى رأفة بك سأخصم ٢٠ روبل. قالت ولكننى لم أكسره، قال ولكنك مسئولة عن البيت، ثم إن الولد قطع البلوفر الجديد الذى اشتريته له بخمسناشر روبل نخصمها أيضًا، تجمعت الدموع فى عينيها وصمتت فى ذل ومسكنة، وأخذ البك يخصم ويخصم، حتى صار كل ما تبقى لها خمسة روبلات فقط عن الأشهر الثلاثة التى عملتها، قال هه، هذا أجرك.. خذى، مسحت دمعة من عينيها وأخذت الروبلات الخمس ووضعتها فى الكيس ولم تنطق. هنا انفجر الرجل صارخًا فيها، لماذا لا تتكلمى، اصرخى، ثورى فى وجهى، أنا سرقتك نهبتك، قالت المربية، فى أماكن أخرى لم يعطونى شيئًا، ألقى الرجل لها بالمائة وعشرين روبل وهو يضرب كفا بكف ويقول: ما أسهل أن يكون الإنسان قويًا فى هذا العالم.

هل رأيتم هذا الاختبار العبقرى الذى عمله صاحب البيت للمربية، والذى يبرز ببساطة رائعة، حقارة الاستسلام والسلبية، إن الإنسان الذى لا يدافع عن نفسه هو المتهم الأول يا أعزائى، ودعونا من الأدب والسياسة نتكلم فى الكورة.. إن الدفاع الضعيف يصنع من مهاجمين تافهين لا وزن لهم.. عمالقة.. ونجومًا، ودعونا من الكورة

هى أيضًا.. قال أحد الكتاب الروس.. ولا أتذكر اسمه الآن: إنه كان بمدينة ما رجل ضعيف العقل سطحى متخلف، وكان الناس دائمى السخرية منه. وأراد أن يغير ذلك. فهداه طول التفكير إلى أنه صار كلما التقى واحدًا من معارفه وإخوانه إذا به يستخف رأيه ويستجهله ويهاجمه، فإذا ذكر أمامه كتابًا أو عملاً فنيًا قال، هذا عمل مسف تافه رخيص، وظل صاحبنا يستهجن كل ما يستحسنه الناس ويتهمهم بضعف العقل ويرميهم بالتخلف، وبلغ من نجاحه أن أرسل إليه صاحبه جريدة يستكتبه فيها، فاستمر فى خطته التى رسمها لنفسه. يهاجم ويشتم بكل ضراوة حتى أصبح قوة لا يستهان بها، وتودد إليه الكتاب والفنانون خشية بطشه بهم، وإنى لأعجب من هؤلاء الروس الذين بهروا الدنيا كلها بأدبهم الفريد وبأفكارهم الرائعة عن الدفاع عن النفس، وعدم تقليم الأظافر أمام الهجوم المغرض والتبجح، ومع ذلك، استطاع هذا المغامر الأمريكى أن يفعلها هو أيضًا، كما فعلها خاطف الطائرة العدمان بسكينة الجاتوه، ولا يزال المغامر الأمريكى يهاجمنا.. بأفلامه وأفكاره.. وساندونشاته، ونحن لا نقول سوى آمين. ساندوتش الهامبورجر الضخم الذى يمسكه الواحد منا بكلتا يديه، ولا يعرف كيف يأكله، وهو يخفى نصف وجهه، ويسيل الكاتشاب والمسطردة وتسقط حلقات البصل على وجوهنا، ونحن نأكل فى استسلام للفكرة الهمجية الأمريكية، وتهاجمنا مطاعم

البيتزا هى الأخرى فنذهب إليها منقادين وأولادنا يسحبوننا كالأسرى، ولم نفكر مرة فى أن ندافع عن أنفسنا، ونعمل سلسلة مطاعم فى لوس أنجلوس وكاليفورنيا، بتعمل فطير مشلتت وجبنة قديمة وجعضيض.

السحابة دى مش من عندنا

دخل الناظر فصل المشاغبين، وتشمم بأنفه الخبيرة رائحة الدخان وقال: الفصل مليان دخان. فأجاب بهجت الأباصيرى: أصلهم بيلطوا الشارع اللى جنبنا، وضجت الصالة بالضحك، لماذا ضحكنا؟ لأن رد الأباصيرى يعكس الكثير من طبيعتنا المصرية، وهى أن احنا كويسين وزى الفل بس العيب مش من عندنا، فإذا زرتنى فى بيتى ووجدت صرصارًا يمرق من تحت رجليك، ستدافع زوجتى عن بيتها فورًا وتقول لك ده مش من عندنا، ده جاى من المواسير اللى فوق، وأنا شخصيًا عشت ٣٥ سنة فى بيت أمى، اتهمت فيها الجيران والشارع والبلاعات وصفائح القمامة، بأنها السبب فى وجود أى حشرة داخل بيتنا، والحقيقة لا أعلم كيف تعرفت أمى على جنسية الصراصير التى هى دائمًا غريبة عن البيت، وكم حلمت بأن أرى ذلك الصرصار الفريد الذى هو من عندنا، ونحن معترفون به ولا نتبرأ منه، وهذه النزعة المصرية الأصيلة فى التنصل من المسئولية، متوغلة فى عروقنا

لدرجة أن أحدهم بكل بساطة يقولك يا أخى القميص ضاق عليا والبنطلون تصور وسع عليا، ثم يمسك بكتف الجاكيت ويقول لك شوف بقى ماسك عليا من فوق إزاى، إنه حتى لا يستطيع أن يعترف بأنه هو اللى تخن أو رفع، إن الغلطة غلطة البنطلون وليست غلطته وأشياء كثيرة من هذا القبيل مثل العربية عملت حادثة، أو التليفزيون باظ، ولا مجال هنا أن تعترف بأنك انت اللى كنت سايق العربية ولبست فى الشجرة، وأنك أنت الذى لعبت فى التليفزيون حتى باظ. واسترجع رد سعيد صالح العبقرى وأحمد زكى يقول له: التورتة جات فيقوله سعيد جات لوحدها أظن، وإذا اتكعبل الولد الصغير فى رجل الترابيزة من فرط شقاوته وعفرتته ويبكى، تنهال الأم بيدها على الترابيزة ضربًا.. دح.. دح يا ترابيزة يا وحشة، كده تكعبلى وائل إحنا مش بنحبك، فيهدأ وائل بعد اعتراف الترابيزة بأنها السبب فى كعبلته ووقوعه على وجهه على الأرض، وإذا حدثت كارثة كبيرة تجد ألف واحد يقول: أنا مش قايل الكلام ده ومحدش سمعنى، بذمتك أنا قلت العمارة حتقع واللا لأ؟ وأهية وقعت وإلا ما وقعتش؟ كلنا أبرياء وفاهمون، والمذنب دائمًا مجهول ومش من عندنا.

ومن المفارقات الغريبة التى نحس بها هذه الأيام، بعد أن ودعنا القرن العشرين. حيث لا حديث لنا سوى عن العلم والتكنولوجيا وفى الوقت نفسه الذى استطاع فيه هذا المصرى العبقرى، زويل.. أن

يحول دفة العقول فى مصر نحو قدسية وجلال العلم، وأن يشغلهم بدلاً عن أخبار الراقصات والطلاق والزواج العرفى والحاجات دى، تملى القاهرة سحابة سوداء من الدخان الكثيف لم يستطع أحد إلى الآن أن يفهمنا ما حكايتها، ولم يتقدم أحد ليفسر لنا الموضوع.. وقد بدأت الحكاية حينما نادت زوجتى على البواب وقالت له يا رمضان.. هما بيحرقوا الزبالة جنب البيت؟! ونظر لها رمضان فى زهق لأنها كانت عاشر واحدة تسأله هذا السؤال، وظل رمضان المسكين يلف المنطقة كلها والشوارع الجانبية بحثًا عن صندوق زبالة يحترق، ولم يجد فجلس أسفل العمارة يحدق فى السماء ببلاهة يحاول أن يقدح زناد فكره حتى يقدم التفسير العلمى المناسب.

أما صديقى المثقف فلم يلتفت للظاهرة أساسًا، لأنه دائم التفكير فى مسائل فكرية عليا وأمور معقدة، وإنما اكتفى بأنه أسر لى أثناء حديثه قائلاً: يا أخى مش عارف مخنوق كده ليه؟ مخنوق.. يمكن الأزمة الثقافية التى نعيشها هى السبب، وأخذ نفسه بصعوبة وقال: واللا عشان صعوبة النشر؟ قلت له المسألة أبسط من ذلك يا عزيزى.. المشكلة هى صعوبة التنفس لأن الجو كله دخان، قال لى دخان إيه.. فلم أرد عليه.

أما مسعد وأبو أمين فقد طلعا إلى السطوح كعادتهما اليومية، ليشربا الحجرين بتوع آخر الليل، وهوه حجر ونظر مسعد إلى السماء الملبدة

بالدخان وقال لأبو أمين: كفاية كده يا أبو، كده أحلى دماغ واعترض أبو أمين الذى لم يأخذ سوى نفسين وقال له إحنا لسه شربنا حاجة، نظر مسعد إلى سحابة الدخان التى تظللها قائلاً، أكثر سن كده يا أبو... ده أنت حوت.. ما تبقاش غبى فى شربك، هوه إحنا بنلاقيه.. قوم.. ونزل مسعد وأبو أمين ليشربا حجرين آخرين ولكن أرديحى على القهوة القريبة.. ونظرا إلى السماء وإلى الجالسين على المقهى بجوارهما يشربون الشيشة، وقال مسعد لأبو أمين ده الظاهر مش إحنا بس اللى عاملين دماغ يا أبو.. البلد مسلطنة جامد الليلادى.. حاكم الشعب المصرى ده مالوش حل.. منعوا الشيشة فى الأماكن المقفولة وقالوا لازم تبقى فى الشارع، أهوه.. استلم فيه كام مليون شيشة شغالة فى مصر، ما كنا بنشربها على الضيق وكاتمين الليلة ومفيش حاجة بتطلع بره.

بعضهم يقول إن حرق قش الأرز هو السبب، وبداية التفكير لا بأس بها. ولكن هل هذه هى أول مرة نحرق فيها القش بعد جنى المحصول؟ طيب وما الذى جعل الأرز يشيط هكذا، مش يحطوا صاجة تحت الحريق ويوطوا عليه، نريد شيئًا علميًا حقيقيًا مقنعًا، حتى لا تصبح مجرد سحابة وعدت، فهى ليست السحابة الأخيرة، فقط نريد أن نفهم، إننا داخلون على شتاء، وشتاؤنا صار كصيفنا، كأنه متعين جديد، كل سنة يفاجئنا بظواهر عجيبة ولا يجب أن نقف هكذا

مكتوفى الأيدى والعقول، وقبل أن يهاجمنى أحد ويقول لى سحابة يا أمى ح نعمل لها إيه يعنى؟! أنا مش عاوز تعمل لها أى حاجة، أنا كل اللى عاوزه نحللها.. نفهمها.. نفسرها، أفرض مثلاً أن السماء أمطرت كركديه أو حلبة حصا، لازم نعرف إزاى وليه؟ أجدادنا اللى معقدينا فى عيشتنا دول هؤلاء الجبابرة المصريون القدماء، درسوا كل شىء، وعرفوا كل شىء وهم الذين بدأوا مشوار زويل، قالها بنفسه بابتسامته العجيبة وتواضعه الغريب، قالها بعينيه المفتوحتين بذكاء وبإشعاع وكأنه يريد أن يعرف كل شىء، المعرفة يا أعزائى، المعرفة هى الهدف الحقيقى الذى تاه منا، ويجب أن نعود إليه بأسرع ما يمكن، والمعرفة أهم بكثير من أن نضيع وقتنا فى تفاهات وتحيات وسلامات، إن كثر السلام يقل المعرفة..

مصر تحصل على ميدالية ذهبية

حينما تتأمل نجوم السينما زمان، ونجومها الآن، تـدرك على الفور أن شيئًا ما قد حدث، ولا أتكلم هنا عـن الأداء التمثيلى ولا الإبداع، فهذه أمـور سبقنى إليها الكثيرون، وإنما أتكلم فقط عن الحجم، الطول والعرض، حسين صدقى، ويحيى شاهين، وأنور وجدى، ومحسن سرحان، وفريد شوقى، كان كل منهم بطلاً بحق، عملاقًا يملأ العين ويملأ الشاشـة، وحينما كان الفيـلم يـدور فى الجامعة كنت ترى الطلبة رجالة بشنبات بأكتاف عريضة وقامـات رهيبة، ولذا حينما كنت أتفرج على هذه الأفلام فى طفولتى، كنت أتصور أن بينى وبـين الجامعـة أربعـين سنة على الأقل، وإذا تصورنا فيلمًا مثل "صعيدى فى الجامعة" قـد أنتـج فى الأربعينيات، وكـان يحيى شاهـين يقـوم بدور هنيدى، وحسين صدقى يقوم بـدور طارق لطفى، وفريـد شوقـى مكان السقا، فلا شك أن الكاتب مدحت العدل كان سيستبدل نهايته الجميلة، التى يحـرق فيها هؤلاء العلم الإسرائيلى

برواية أخرى يحـرق فيها الأبطال القـدامى إسرائيل نفسها، وينزلوا فيها ضرب لحد ما يبان لها صاحب.

وفى العشرينيات يقال إننا كنا "ملوك الحديد" فى الدورات الأوليمبية، ولم تكن هناك أى إمكانيات ولا اتحاد يستضاف أعضاؤه فى التليفزيون، ليتكلموا عن استعداداتهم للأوليمباد، حيث كان بطل الحديد أيامها أقصى أمانيه أن يأكل حتتين لحمة، وانجر فتة، ويلاقى حديد يشيله، وفى الأحياء الشعبية كانت العصابة اللى فيها كوزين أسمنت حقيقة موجودة يتنافس بها شباب الحتة العتر.. وقد رأيت ذلك فى فيلم "المظاهر" لكمال سليم حيث كان يحيى شاهين يلم العمال من على القهوة، ويذهب بهم إلى الساحة الشعبية ليلعبوا حديد وينطوا الحبل.

ومرت السنون على طريقة الأفلام، وذهبنا إلى سيدنى تؤازرنا حملة إعلامية كبيرة، وكل الناس الطيبين فى مصر يدعون لأبطالنا فى كل صلاة وفى كل مطلع فجر.

الطموحات موجودة، الإمكانيات موجودة، الدعوات موجودة.. والميداليات؟!! مش موجودة.. إزاى بس يا ناس.. ولا حتى فى الجرى!! ولا حتى فى المشى؟ يعنى مفيش شاب فى مصر كلها بيمشى؟ كـل المسابقات خرجنا منها وقفانا يقمر عيش، ما تفسير

ذلك؟، فى تصورى إنهم قد فعلوها فى سيدنى هؤلاء الأوغاد، حيث ظلوا يعدون أنفسهم ويحضرون لسيدنى، فى مسابقات بعينها وأخفوا الأمر علينا، إذن.. أين تكافؤ الفرص؟ لماذا لا تنظم مسابقة فى الشد؟، أعنى شد الشيشة، هل يجرؤ أحد أن ينافسنا فيها؟ أتخيل المسابقة فى ملعب خماسى، خمسة ضد خمسة وكل واحد قدامه شيشته، والحكم بيرص ويحط نار خفيفة على الحجر، ويشوف مين الكابتن اللى ح يولع الحجر، وكل جولة الحكم ما يضربش الجونج، وإنما يقول: مساء الخير، أما مراقب المباراة.. فهو بالتأكيد من مباحث المخدرات.. عليا النعمة لو عملوا المسابقة دى لنأخذ الذهبية والفضية والبرونزية.. بالوئية.

أعزائى محدش يزعل ولا يضايق نفسه، شبابنا زهقان وروحه فى مناخيره، والرياضة صبر، احتمال، القاعدة الأساسية مش موجودة، فالنوابغ لايظهرون بتوفير الإمكانيات، كلنا نشأنا فى ظروف مادية منيلة، وذاكرنا على ضوء العامود ونسخنا الكتب بأيدينا حتى لا نشتريها، وخيطنا الأحذية عشرات المرات، عند الجزماتى، فقرار شراء حذاء جديد لم يكن سهلاً، كما أننا عرفنا الشيكولاته والمكسرات على كبر ومع ذلك أتصور إننا، يعنى.. فعلنا شيئًا، ولكن أبناءنا بكل ما حولهم من إمكانيات طلعوا عنينا، وعنين أبونا، منذ أن دخلوا الحضانة، إنه جيل لا يعرف سوى الدروس الخصوصية، مهما اتخرب

البيت، جيل لا يريد أن يصبح شيئًا حينما يكبر، ظابط أو دكتور كما كنا نقول فى طفولتنا بدافع وطنى برىء ولم نطلع ظباطًا ولا دكاترة، ولكن ظل دافعنا الوطنى موجودًا، جيل ليس على لسانه سوى، كبر دماغك، "الخلص" يا عم أرحمنى".. "يا ملل" "انزل من على ودانى".. جيل لا يحلم ببطولة ولا يؤمن بها أساسًا، بطولة إيه فى الحر ده؟ جيل يعتقد أنه "دماغ" وهو فى الواقع "فارغ الدماغ" أنا أكتب ذلك وأنا واثق أنهم لن يزعلوا منى، لسبب بسيط لأنهم لا يقرأون لى، ولا لغيرى، أما هذه القلة التى تقرأ فهم مساكين مثلى، بل هم أسوأ حظًا منى، وعليه فأنا أقترح اقتراحًا عبثيًا على المسئولين الكبار إذا كنتم تريدون بطولات وميداليات اسحبوا كل الإمكانيات التى توافرت لهؤلاء الشباب، الغوا الاتحادات الكثيرة هذه واللى عاوز يشيل حديد يشيل، واللى مش عاوز عنه ما شال، اقفلوا مطاعم التيك آواى هذه التى جابت شبابنا الأرض، اصدروا أمرًا بالحبس ثلاث سنوات لكل أب جايب لابنه موبايل، "حتى لو كارت" ولكل أم جايبة لبنتها عربية" "حتى لو أسط"، فالشباب يا أعزائى لم يعد يريد أى شىء، لأنه عنده كل شىء، أو ليس عنده أى شىء.

الوكسة الشبابية

الحمد لله، اختفى الإرهاب وصار الشارع المصرى أكثر أمنًا بكثير من ذى قبل، واستطاع اللواء حبيب العادلى أن يشد الفرامل بعبقرية، ويوقف هذا الأتوبيس المندفع بجنون، قبل أن يدشدش كل شىء من حوله، وقد علمت بطريقة ما، أن الإرهابيين المعتقلين الآن فى السجون يعاملون معاملة أفضل بكثير، كويس!!

ولكن لماذا يصر الطبيب أن أكمل كورس العلاج؟ برغم أنى خفيت وبقيت كويس؟ إنه يقول: حتى نقضى على المرض نهائيًا فى جسمك وحتى لا تحدث انتكاسة..

ولكن هل يمكن أن تحدث انتكاسة إرهابية أخرى؟

أقولها بملء الفم، نعم.

والأعراض الأولى للمرض ظهرت بوضوح.

يدخل علينا شاب وسيم ممسكًا بحقيبة ويبتسم ابتسامة مفتعلة،

ويقول لى: مبروك يا بيه.. إنت كسبت رحلة لشرم الشيخ! أفيق من شرودى على هذا الانقضاض المفاجىء، وهو يقول أصل إحنا بنختار الشخصيات الحلوة اللى زى سعادتك، عشان تكون فى الجروب بس يا ريت تملأ الاستمارة دى..

وبما أنى أثق تمامًا أننى شخصية حلوة، أتأمل الاستمارة.. بياناتى.. اسمى.. سنى.. عنوانى.. ثم يقول.. بس ح تدفع سعادتك عشرة جنيهات عشان الاستمارة!!!

وبعد دقائق، يكون فى ترابيزة أخرى مع شخص آخر، حلو برضه محظوظ مثلى، فاز برحلة لشرم الشيخ، أو بتعبير أدق فاز بملء استمارة بعشرة جنيه.

وآخر يقبل علينا متهللاً ـ سعيدًا ـ وهو يقدم لى ماكينة حلاقة: اتفضل يا باشا.. أقول له إيه ده، يقول دى هدية من الشركة، أقول لنفسى النبى قبل الهدية، ولكنه بسرعة يكون قد وضع ماكينة أخرى أمامى.. أقوله لأ.. كفاية واحدة، أنا دقنى مش طويلة قوى يعنى يقول.. لا يا باشا.. سعادتك ح تاخد واحدة هدية والتانية دى بثمن رمزى ثلاثة جنيه، ولو أخذت اثنين غير الهدية، شيل.. على خمسة جنيه.. مئات الشباب يقابلوننى فى كل مكان، معهم حقائب، وهدايا.. وفرص لا تعوض.. وآخرون كلهم يريدون التمثيل، كلهم يمثلون، كل منهم يحلم أن يكون هنيدى، أو علاء ولى الدين.. أو

يؤلفون.. مئات القصص أتلقاها منهم وليس بها أدنى ثقافة أو موهبة، أو حتى إملاء، كلهم يدورون فى حلقات مفرغة، ولكن الأبواب الموصدة تجعلهم يجربون أو بمعنى أصح "يلوشون" لا عمل.. ولا أمال.. ولا حب.. ولا زواج، ولا سفر ولا حتى حلم أمريكى أو أوروبى، قنبلة موقوتة لا نعلم متى ستنفجر، والدولار داخل على أربعة جنيه، ولا زلنا نناقش أزمة الأغنية الشبابية، متناسين تمامًا تلك الوكسة الشبابية.

هذه هى الأعراض يا أعزائى..

والروشتة ليس معى..

أنا لست طبيبًا..

ع البساطة البساطة،
يا عينى ع البساطة!!

والله العظيم إحنا ناس زى الفل، وقنوعين وراضيين بقليلنا وعاوزين نعيش، إيه رأيكم بقه!!

يقول لى صديقى فى سعادة وبهجة لم أشاهد لها مثيلاً: ح أوديك بأه لواحد بتاع فول إنسى!! مش فول، لوز، شوية فول ح تاكل صوابعك وراهم، ثم يضيف لى ووجهه يتهدج من الفرحة: وعارف كمان، عنده عيش سخن، وح تشرب عنده شوية مية طرشى، زى السكر.. ويأخذنى من يدى وكأننا ذاهبان إلى ديزنى لاند، ويستقبله صاحب عربية الفول مرحبًا، نهاره قشطة، ويختلى به صاحبى ويهمس له فى أهمية وخطورة شديدة.. اسمع أنا عاوزك توضب شوية لوز يبقى على مزاجك علشان الأستاذ، هه، وينظر لى الرجل مبتسمًا وكأنه فهم الرسالة ويغمز لى قائلاً: عينى.. وينظر إلى صديقى قائلاً كهرمان.

طقوس غريبة وهمسات وغمزات، لكى يأتى طبق الفول ويضع الرجل أمامنا العيش السخن الموهوج، ويلتقط صاحبى الرغيف ويدسه فى وجهى قائلاً دوق دوق بس وادعيلى، وتساءلت فيما بينى وبين نفسى.. أدوق إيه!! فول؟! وعيش؟! هوه أنا ناقص؟! وصديق آخر يأخذنى إلى بيته سعيدًا ويقول لى ح أقعدك بأه قعده ملوكى، وأتخيل نفسى جالسًا على عرش مذهب، مثل جدى توت عنخ آمون، وحولى الجوارى يهوين على بمراوح من ريش، وإذا به يقول لى تعالى اقعد هنا ويجلسنى أسفل شباك صغير، مثل نافذة السجن، ويقول لى أصل الشباك ده بحرى، دلوقت تشوف ح يجيب طراوة قد إيه، صاروخ هوا ح يضرب فى ظهرك، ح تقولى هات بطانية، ويفتح الشباك، إذا بشوية هوا يادوبك يكفونى شهيق بس، والزفير من عندى.. وصاحبى سعيد بنسمة الهواء هذه.

والشاعر الكبير إمام الصفطاوى، قال لى ذات مرة: كنت أحب بنت الجيران، وكانت كالعادة ساكنة فى الشباك اللى قصادنا، وكانت الشبابيك زمان مصممة هندسيًا لتبادل الغرام، فكانت ملتصقة ببعضها البعض لحد كبير، وحدث إن إحنا جبنا مروحة (وأقول إن هذا حدث لأن اقتناء مروحة كان يعد حدثًا ضخمًا فى هذا الزمان)، وإذا بعم إمام يضع المروحة (الجديدة) على الشباك فى اتجاه الحبيبة ليس لكى يغيظها بها وإنما لكى تهوى على حبيبته.. يا سيدى.

شفتوا رومانسية وجمال كده فى الدنيا، إنها أشياء بسيطة جدًا ولكنها تساوى الكثير، ويقول لى أحد الأصدقاء يا سلام أول ما أروح البيت أغير هدومى، وأحط رجلى فى شوية ميه وملح.. باشا!! وآخر يحكى لى قصائد فى البطاطة والذرة المشوى، وهو ماشى مع الجوع الكورنيش حكاية!!

أما الولية أم عبد فقمة متعتها أن تقوم من صباحية ربنا، وتأخذ العيال أعنى عيالها وعيال أولادها وبناتها وأخواتها، أورطة يعنى وتذهب بهذا الجيش إلى الجنينة، ومعهم الفسيخ والخس والملانة، وحلل مليانة طبيخ وتظل طوال اليوم تقول اقعد يا واد يا مرسى.. وله ياتاج.. بت يا فتحية.. صوتى اتنبح الله يخرب بيوتكوا، قطيعة تقطع العيال. وتنظر إلى الست أم نبوية وتقول لها قرود يا اختى إيه ده ما بيهمدوش.. ما بيهمدوش.. وإذا مر بائع غزل البنات تقول له بكام اللى فى إيدك ده يا عم؟ هات لهم ياللا إدى لكل عيل واحدة من نفسهم، تلك هى متعة أم عبد فى الحياة.

أما صديقى الطاقق ذلك الذى جاء لى ذات يوم، وقال لى لقيت لك مكان بأه اكتشاف، وهمس لى قائلاً شوية هدوء ما تلاقيهمش فى أى حته، وأخذنى فى سيارته وظل يمشى بى أكثر من ثلاث ساعات، إلى أن وجدت نفسى أخيرًا فوق قمة جبل المقطم، وابتسم قائلاً.. هه إيه رأيك بأه؟ قلت له فى غيظ: كل هـذه المعاناة لكى نذهب إلى مكان لا

يتكلم فيه أحـد، وسألت نفسى هل أصبح كل شىء نادرًا فى مصر إلى هـذه الدرجة؟ لا ليست مسألة ندرة إنها عبقريتنا نحن المصريين فى التعايش والتآلف مع الحياة والظروف ـ أى ظروف ـ ولذلك فهم فى السويد وأمريكا، ينتحرون لأنهم فقدوا القدرة على التمتع بتلك الأشياء البسيطة: شوية ترمس، شوب عصير قصب يرد الروح، ولذلك حينما أخذت أمى ذات يوم لأعزمها على الغداء فى أحد الفنادق، جلست فى هيبة وارتباك وثلاثة شباب زى الورد متجهمين يصفون الأطباق والشوك والسكاكين والملاعق، قالت لهم أمى بطيبتها وتلقائيتها ما تتفضلوا معانا، والنبى تمدوا إيديكوا وبعد أن بدأت تأكل طلعت كل العيوب والقطط الفطسانة فى الأكل، إيه ده، ده مش بسمنة بلدى، وبعدين ده نى فى نى، هو ده اللى بتضيع فلوسك فيه، مش كان أكل البيت أحسن، وجاءت الساعة الرهيبة ساعة دفع الحساب، وخشيت أن يغمى عليها، لو علمت الرقم الذى دفعته كان الحساب ميتين جنيه، دفعتهم فى صمت وبدون أن تلحظ هى المبلغ، ولكنها قالت لى ونحن خارجان من المطعم، أخذوا منك كام؟ لازم ضحكوا عليك ما أنا عارفاك، فهى دائمًا تتصور أن الكون كله يضحك على، قلت لها أبدًا أخذوا عشرين جنيه بس، وشهقت وصرخت فى وجهى قائلة، عشرين جنيه!! ليه!! دول حرامية ونصابين خلينى أتكلم معاهم، وأخذتها من يدها وكانت آخر مرة آخذها إلى مطعم طبعًا، فهى متعتها أكل البيت، وهذا ليس غريبًا على أى أم مصرية، فأجدادها

قدماء المصريين بنوا الأهرام العظيمة وهم يأكلون الفجل والجرجير والبصل، هيرودوت قال ذلك.. إنها البساطة المصرية الجميلة، والقناعة والتكليف ولهذا عاش المصريون آلاف السنين.. ولسه.. ولسه.. ولسه.

كلنا كده عاوزين صورة

ف ألبوم الصور الذى نحتفظ به صور غريبة "رزلة"، لا تمت لنا بصلة، وفى مراحل مختلفة من العمر يتخذ المرء أشكالاً، لا يدرى كيف تحمل نفسه فيها، مراحل الطفولة مثلاً تجد نفسك سميناً بلا أى داع وتنظر فى بلاهة، وزهق لمن يصورك، وفى مرحلة المراهقة التى تكون فيها بين البينين، تختلف نظرتك وتحس أنك زى ما تكون عامل عملة، والصور العائلية بالذات كانت فضيحة، فكانوا يرصوننا بجوار الكبار مثل قوالب الطوب، وكان عمى يريح إيده اللى فى تقل إيد الهون، على كتفى الهش مبتسماً فى سعادة إلى الكاميرا التى تصور سعادته، وأنا ضارب بوز شبرين من هذا الحمل الذى ينوء به كتفى، وأبى يزجرنى من خلف المصور: ابتسم ياد.. اضحك عشان الضحكة تطلع فى الصورة!! ولذلك تبقى لى من أيام الطفولة كراهيتى للمصورين، والحلاقين أيضاً. فأنا لم أحن رأسى فى حياتى إلا لاثنين.. مصوراتى أو حلاق، وكان المصوراتى هو الذى يتحكم فى قعدتنا أمامه، وكان

غالباً ما يضطهدنى أنا بالذات، ويجلسنى مقرفصاً تحت الأقدام "أقدام الكبار يعنى"، وكان وضع الجلوس صعباً للغاية، "ورجليا تنمل" ونفسى يضيق، والذى يفرسنى أكثر أنه كان يستهلك وقتاً طويلاً فى أن يرصنا بجوار بعضنا البعض وبعد ذلك يقول: "زى ما انتوا" ويوجه كلامه لى، لى أنا بالذات، ما تتحركش ما ترمش، وكأن الراجل جاء فقط لتعذيبى.

أما الصورة التى لا أنساها، فهى صورة دخولى المدرسة، نقطة التحول فى حياتى، من طفل عاطل من منازلهم إلى طفل يرتدى المريلة وعامل فى المجتمع، ذهبوا بى إلى المصوراتى وأنا أرتجف من الرعب، وقالوا لى: "ما تخفش دى سهلة خالص" الجملة المريرة نفسها التى قالوها لى قبلها حينما أخذونى إلى الطبيب و..! وبعدها صالحونى بالملبس والحلويات، وظللت أصرخ أسبوعاً من الألم فى جلبابى الأبيض الغريب، وهم يرشون الملح سبع مرات فوق رأسى، المهم عند المصوراتى جلست فى رعب، ليأخذوا لى صورة المدرسة، وجاء الرجل الشرير وأمسك برقبتى ولواها فى الاتجاه الأيمن، قال إيه عشان الصورة تطلع حلوة، ويذهب إلى الكاميرا ويعود يلوى رأسى مرة ثانية، لأننى كما يقول حركتها قليلاً، وكرر ذلك عدة مرات إلى أن التقط الصورة، ودخلت المدرسة برقبة ملووحة.

ولأن الصورة هى بالنسبة لنا تثبيت الحالة ودليل الذكرى، فكانت

هناك موضة قديمة وهى إهداء الصور بين المحبين، فتكتب على ظهر الصورة: أكتب لك بالقلم الرصاص علامة الحب والإخلاص، وطبعًا لا علاقة إطلاقًا بين الإخلاص والقلم الرصاص، ولكنه كلام صور وخلاص، وكان المحبون يحتفظون بصورة حبيباتهم فى المحفظة، حتى يتذكروها، كلما أخرج المحفظة فى الأتوبيس فيسرح قليلاً، ويفيق على صوت الكومسارى يقطع عليه لحظة هيامه قائلاً: تذاكر!! وتعالوا نقلب فى الألبوم قليلاً، ونتأمل بعض الصور، فصورتك أنت فى الجيش مثلاً صورة أنت أقرع فيها تقريبًا، وخاسس وخدودك داخلين لجوه، وترتدى طاقية دائمًا هى أكبر من دماغك، لكنها تحمل معانى جميلة إنها بداية الرجولة، أما صورتك وأنت طفل رضيع "بلبوص" وتستحم فى البانيو، هى صورة تكسف صحيح، ولكنها جميلة أيضًا لأنها بداية الحياة.

أما الصورة التى تحمل كل المعانى التى فى الدنيا، فهى صورة الزفاف، وهى صورة جميلة برضه، لأنها بداية النهاية، وتصر كثير من الزوجات على تعليق صورة الزفاف فى الصالون، وفى حجرة النوم، وفى المطبخ أحيانًا، حتى تذكر الزوج طوال الوقت بأن المسألة انتهت ولا مفر يابا، إنها مثل حكم المحكمة يجب أن يعلق حتى يراه المجنى عليه، وفى بيوت كثرة يستبدلون الألبوم الذى يضعون فيه الصور، بجدران البيت، فما إن تجلس فى الصالون حتى تجد أمامك وخلفك وحولك عشرات الصور لأشخاص غريبة وتجد الأم "وأمى أنا

شخصيًا عندها هذه الخصلة" تقولك فى طيبة وبساطة: ده بأه، يبقى ابن خالة أبويا الله يرحمه. ودى تبقى عمة أبو العيال، وده جوز عمتى. والبنت الصغننة دى بأه، ما تشوفهاش دلوقت بسم الله ما شاء الله، وتظل تحكى والجدران ثرية بالصور وبالحواديت أيضًا.

ولا أنسى يوم ذهبنا إلى بيت صديق لى، رسام طاقق، وجدرانه كلها عامرة بالصور ولكنها كلاب، كلاب فقط وأخذت أمى تمسح الجدران بعينيها باحثة عن صور أقرباء صديقى أو أهله، ولما لم تجد سوى الكلاب فى كل مكان سألتنى هامسة: "يبقى ابن مين صاحبك ده؟! وفهمت مغزى السؤال طبعًا.

سيبك.. انت الفلوس غيرتك!!

وهل أشعر بالدفء إلاّ معكِ، وهل يكون لحياتى طعم أو معنى إلاّ وأنت معى، أرجوكِ لا تسخرى من ضعفى ومن توترى، فأنا تقتلنى لحظات الفراق، ونحن نفترق الآن، ليس من الرجولة أن أبدو باردًا وأنا أراكِ تبتعدين عنى هكذا، المسألة ليست بسيطة، فأنت التى كنت أشعر معها بالأمان. وذهابك المفاجىء هذا يزلزلنى، والأخطر، أننى وبيدى الذى أسلمك لغيرى، بكامل قواى العقلية، وأين قواى العقلية المزعومة هذه؟ أنا بالتأكيد قد جننت، أنا أعلم جيدًا، أن القرار ليس قرارك أنت، وأنه قرارى أنا، وأعلم أننى الذى مت حتى حصلت عليك، وذقت الأمرين حتى أصبحت لى، وها أنا أقدمك بكل بساطة إلى رجل آخر ليتمتع بك هو كما يشاء، ويحرمنى منك مدى الحياة، بدون أن يتعب معك كما تعبت..

يا للتعاسة، الرجل الذى أقدمك إليه، يلمسك.. أمامى.. إنه

يمسك بك.. يجذبك نحوه وأنا لازلت أتشبث بك، إنه يحاول أن يقبض عليك.. وأنا متعلق بأطرافك.

الرجل يثور فى وجهى صارخًا، إيه يا بيه العشرين جنيه ح تتقطع فى إيديك؟! هيه ح تطير.. وأفيق من شرودى عليها ـ العشرين جنيه ـ وهو يلتقطها ويلقى بها بلا عناية فى الدرج الذى أمامه.. الممتلىء بمثيلاتها، وبالعشرات وبالخمسات ويضع فى يدى ورقة ملفوفة بها كيلو من اللحم.

فى المساء، كانت هى العشرين جنيه نفسها، فى جيب الرجل إياه، قابعة بين رزمة أخرى ملقاة فى جيبه غريبة.. منفية، لا تدرى إلى أين ستلقى بها الأيدى أو الأقدار، تتلوى الراقصة المثيرة فى سحر وفى دلال، وتلقى على الرجل نظرات ذات مغزى تلهب مشاعره، يمد يده المتهورة الهائجة فى جيبه المتخم، و.. بلا وعى.. تلتصق العشرين جنيها بأصبعه، وتخرج مذعورة، ليلقى بها الرجل نقطة فى نافورة فلوس تنهال فوق رأس الراقصة، كل الفلوس تسقط على الأرض، إلا هذه.. تتعلق بنهدى الراقصة، ويطل الجزء الأكبر منها من السوتيان، كفتاة عاشقة فوق قمة برج وتنوى الانتحار، أنفعل.. أتأثر.. أتمنى لو كنت أنا مكانك يا عزيزتى.

قالت صابرة الشغالة بعد أن مسحت الشقة وخليتها فل: أنا ماشية

يا ست.. وترد الراقصة من الداخل بصوت مبحوح من السهر والبرد والسجاير.. خدى عشرين جنيها من على الشيفونيرة.. وتذهب صابرة لتجد العشرينات كلها متجاورة بجوار المئات والدولارات والريالات، إنها تحتاج أكثر من عشرين جنيهًا، عشان تودى الواد ابنها الحميات، ولكن.. استغفر الله العظيم.. تقلب فى الفلوس كلها لتبحث بينها عن عشرين جنيه حلال، وتجدها.. طبعًا.. هى.. ومن يد صابرة إلى يد الطبيب.. إلى أيد كثيرة.. وحكايات كثيرة كلنا يلهث وراءها.. والرحلة ليس لها نهاية.. وليس لها سقف، الملايين صارت لعب عيال، والمليارات أصبحت عادى، والسعار يشتد.. والصراع يحتدم.. ولا لحظة لالتقاط الأنفاس.

سألت صديقًا لى كم جنيهًا أمسكته فى حياتك، فضحك، وقال واستمر معى يعنى؟! أم تركنى ورحل بغير رجعة؟ قلت له، لأ، أمسكته وخلاص، وقال فى ثقة، ملايين، بس حاليًا ما تلافيش، سامحنى.. قلت له هل نظرت إلى الورقة، ما الجامع المرسوم على الجنيه؟ أطرق قليلاً.. وزادت ملامح الغباء وضوحًا على ملامحه، وسألنى.. هو الجنيه عليه جامع؟! قلت له جامع قايتباى، والعشرة جنيه؟ جامع محمد على، قال فى لباقة.. يا سلاام.. ما هو لو بس يكِنّ ويقعد فى إيدى شويه كنت خدت بالى، والله كويس اللى قلت لى أحسن يسألونى فى برنامج مسابقات والا حاجة!!

إلى هذه الدرجة نحن نحب الفلوس، لدرجة أننا لا نستطيع حتى أن نتأملها، تلك الأوراق الملعونة التى نقتل من أجلها، ونحب من أجلها، ونمرض ونموت من أجلها، كان يريد أن يشترى عربية شبح، قال له صاحب المعرض مليون مقفولين، وذهب إلى البنك وسحب المليون، وقبل أن يذهب ليشترى السيارة، وضعها أمامه على السرير، ومن فرط انفعاله.. نظر أمامه فوجد نفسه فى المرآة والرزم على المخدة وعلى السرير وعلى الأرض، فنظر شذرا إلى نفسه فى المرآة وقال.. إنت عبيط ياله.. والا اتهبلت فى مخك عاوز تركب شبح يا روح أمك، تدفع مليون جنيه فى حتة حديدة، الفلوس ترجع البنك يابن الكلب قوم.. لم فلوسك يا حمار.. بلا عربيات بلا زفت.

قالت له زوجته من خلف الباب.. معرض العربيات عاوزينك على التليفون..

قال فى عصبية.. قوليلهم لسه ماجاش.. قوليلهم نايم.. إف..

فى المساء كان فى مكتبه وجاءه خبر وفاة صديقه الشاب بسكتة قلبية، وذهب إلى العزاء.. ولم يكن قد استوعب الصدمة، هكذا يموت بكل حيويته وشبابه وبهذه البساطة والسرعة، كان

أجد منى.. وأكثر صحة، وخرج من العزاء على معرض العربيات وقال لصاحب المعرض، أنا هاخد العربية.. الفلوس فى البيت حد يجى ياخدها، بس بشرط.. العربية أركبها دلوقت حالاً، ونط فى العربية وانطلق، يملأ صدره بهواء الكورنيش وبالحياة، وملعون أبو الفلوس.

وفى أوروبا الآن.. يسكون عمله جديدة، موحدة بلا جنسية.. إنها عملة أوروبا كلها اسمها اليورو، عملة مثل الجوكر.. تتحرك بها بين البلدان، ومادام فى جيبك اليورو العملات الثانية يغوروا، وأنا أسعد الناس باليورو لإننى أكثر المسافرين فى العالم خسارة فى التغيير من عملة لعملة، لدرجة أننى تصورت أن اسمها مصلحة سك العملة من كتر ما أنا بتسك فى العملة، أنا يا عم قبل ما أسافر.. أروح أغير من مصرى ليورو.. وألف زى ما أنا عاوز.

تجربة رائدة فى عالم الاقتصاد تلك العملة الموحدة، ولماذا لا نعملها نحن.. أعنى العرب.. ونحن لا ينقصنا شىء، وحدة لغة وتاريخ وأرض ومصير واحد، أعتقد أننا سنختلف مبدأيا على الاسم، فالجنيه سيرفع يده معترضًا على الدرهم والريال سيسخر من الليرة، ولذا تصورت ـ حسمًا للمنازعات ـ أن نأخذ حرفًا من كل عملة، لتكون اسم العملة الجديدة، الجيم من الجنيه والراء من الريال والدال من

الدينار واللام من الليرة.. ماشى يا جماعة.. حلو كده، محدش لسه شايل فى نفسه حاجة.. ويصبح اسم العملة.. كما ترون.. "جردل".

تخبط الأم على صدرها فى فزع يالهوى يا بنى، يكتّبوك مؤخر فى القسيمة ٢٠ ألف جردل.. ليه؟ هما واخدين صايع ده أنت تتجوز ست ستها؟ يتنهد الأب الموظف المسكين فى بيجامته المخططة المرقوعة عند الركبة ويقول لزوجته فى إحباط: الميتين جردل اللى باخدهم ما بيقضوش ليوم ١٥ فى الشهر، تدعو له زوجته إلهى وأنت جاهى يا حاج تلاقى الجرادل نازلة ترف على دماغك، يمسك البقال بالعملة المعدنية ويرميها على البنك الذى أمامه، ويقول.. الجردل ده مخروم.. ما ينفعش.. ويهمس السهران فى الكباريه لزميله ساخرًا، هو الراجل ده نازل رمى جرادل على الرقاصة كام جردل راميه لحد دلوقت.. يبتسم الآخر ويقول.. بينقط يا سيدى.

وهكذا سيصبح الجردل هو رمز الثراء، وحلم كل إنسان.. ومفتاح السعادة فى القرن المقبل، ستصرخ السيدة صاحبة المنزل فى الشغالة الصغيرة بعصبية.. مليتى الجنيه يا مقصوفة الرقبة.. المية مقطوعة من الصبح!!

هذا سيحدث بالتأكيد، فلا يصح أن يحتفظ الجردل باسمه، بعد أن

فتح عليه ربنا وصار اسمًا لعملة صعبة ليس لها مثيل، وعليه سنختار للجردل بتاع المية أى اسم تانى، وليكن الجنيه مثلاً، وسأقول لصديقى الذى أحرجنى بأدبه، يا أخى والله أنا مكسوف منك كسوف كأنك جبت جنيه وغرقتنى بيه.

من الذى يتنحى؟!

حينما نمشى فى الشارع، أحيانًا تجد شخصًا قادمًا فى اتجاهك، وكل منكما يمشى فى اتجاه الآخر حتى تكاد تصطدم به، هنا يجب على أحدكما أن يتنحى، بأن يجُود يمينا قليلاً أو شمالاً قليلاً، ويترك الآخر مستمرًا فى طريقه حتى لا يصطدما، هل حصلت معاك هذه الواقعة؟ قلت له: بالتأكيد حصلت لى فسألنى ولكن من الذى كان يتنحى، أهو أنت أم ذلك الشخص القادم نحوك.؟ من الذى يبعد من طريق الآخر أنت أم هو؟! قلت له وهل نفرق؟!

قال لى طبعًا نفرق، تفرق جدًا كمان، لماذا أنا الذى يجب أن أغير مسارى لماذا لا يغيره هو؟ إنها لحظة بل فى أقل من ثانية أحدنا الذى يتخذ القرار، إما أن أتنحى أنا أو يتنحى هو، وهو ليس قرارًا سهلاً على فكرة.

هذا ما قاله لى صديقى المفكر، وهو يلعب فى شاربه ورددت عليه،

وأنا أداعب شاربى أنا الآخر، قائلاً: يا أخى انت محبكها.. انت تيجى كده هو ييجى كده أهو كل واحد يروح لحاله.. قال لى صارخًا لا.. لا يا حبيبى.. أسف.. مادام قبلت إنك تزيحنى من طريقك يبقى أنت عايز تقهرنى، أفهم الموضوع صح. قلت له يقهرك إيه!! ده واحد ماشى فى الشارع وما يعرفكش، قال لى لا مادام ما يعرفنيش، يعرفنى بأه، يعرف مين اللى قدامه ده، ومايزيحنيش من طريقه بالساهل كده.

شعرت أن المسألة كده قربت قوى من الدكتور عادل صادق والدكتور أبو العزايم، فقلت له هدى نفسك شويه، واسمع كلامى، انت ترتاح فى البيت كام يوم وماتنزلش خالص مادام المشى بيضايقك، قال لى.. أنا بقالى فى البيت أسبوع أهرى وانكت فى روحى، ح اتجنن، قلت له ليه؟ بيجى لك يمشى قدامك فى البيت كمان!! قال لى لا لكن صورته مش عاوزه تفارق خيالى، حاسس إنى حشرة، إنى ضعيف إنى جبان ومش قادر أواجهه، وصرخت فيه قائلاً من شدة الغيظ: هو مين ده؟ قال لى الرجل اللى كان ماشى فى اتجاهى.. وأنا اتنحيت له شويه، وتركت صديقى المفكر.. يفكر وأخذت أفكر أنا الأخر، لماذا نتنحى؟! لماذا نتنازل قليلاً أو كثيرًا.. لماذا غنينا زمان.. عشان مانعلا مانعلا مانعلا لازم نطاطى نطاطى نطاطى؟ فكما يبدأ مشوار الألف ميل بخطوة، تبدأ المصايب كلها بتنازل بسيط، واسمعوا دى:

تتفق روايات الثقات من أصدقائنا حول صديقنا سعيد، أنه حينما تزوج وفى يوم الصباحية حرص أن يستيقظ قبل زوجته، برغم أنه كان نام بعدها ليعد لها الإفطار على سبيل المفاجأة، يعنى ليثبت لها أنه واد روش ونغش وينتمى لجيل الأغنية الشبابية، وقامت ست الحسن مبهورة بطيبة العريس، وقالت له مرسيه قوى يا سعيد عملت الشاى يا حبيبى، آه ياريت.. وهبدت ست الحسن الفطار وناولته الصينية قائلة تسلم إيدك يا حبيبى، وهى مازالت فى السرير، وتكرر هذا ثانى يوم وثالث يوم، وسعيد لم يعد سعيدًا بأى حال من الأحوال.

وفى يوم نام سعيد لأسباب تتعلق بها أيضًا متأخرًا، فلم يستيقظ قبلها كعادته، فوجدها تزغده بركبتها فى سلسلة ضهره قائلة، سعيد مش ح تقوم تحضر الفطار، وقام سعيد ولم يحضر لها الفطار، حضر لها شنطتها،وعلى أمها.

والحقيقة أن سعيد هو اللى غلطان فهو من البداية الذى قدم تنازلاً بسيطًا.

وأعرف زوجة لأحد أصدقائى، مغرمة بنقل أثاث بيتها إلى بيوت أخواتها وأمها وأهلها..

فإذا زارها أخوها وأعجبته ترابيزة السفرة، أرسلتها ثانى يوم فى عربية نقل إلى بيت أخيها، وإذا أختها عدت عليها وعينها طلعت ع

الانتريه يكون عندها بالليل، أما أمها فطلباتها كلها مجابة، إلى أن عاد زوجها ذات يوم فوجد البيت فارغًا، ليس فيه شيء بالضبط مثل ديكورات الأغانى الشبابية المصورة، البيت فاضى وزى الفل وزوجته جالسه أمام الشباك والستاير عماله تطير، ولا شيء سوى أشعة الشمس على بلاط الحجرة، ولم يعرف الزوج ماذا يقول، وهو ينظر حوله فى اندهاش، أين الصالون.. أين الانتريه.. أين السفرة؟ وصرخ فى زوجته قائلاً.. أعاتبك على إيه والا إيه.. والا إيه.

وهذا الزوج أيضًا مخطىء، فهو الذى سمح من البداية بأن تخرج الأشياء من بيته حتى خرج هو شخصيًا، التنازل يا أعزائى ليس بحجمه ولا بنوعيته، التنازل تنازل، فأنت صائم الحمد لله فى رمضان، تستطيع أن تضعف أمام فرخة مشوية أو ديك رومى وتفطر، ولكن لا تنس أن بق ميه يفطر أيضًا، بل والأدهى من ذلك أن البصة تفطر، لذا إذا كنت ماشيًا فى الشارع ووجدت واحدة قادمة فى اتجاهك وكل منكما يمشى فى اتجاه الآخر، حتى تكاد تصطدم بها، تنحى لها ماتنَّحش.

بيتك.. بيتك

بعد أن قعدله فى بيتى أسبوع واكل شارب نايم، لابس بيجاماتى، أحسست إنى أنا اللى نازل ضيف عنده، واضطررت آسفًا أن أضع الإبرة فى المقشة كما نصحتنى أمى لكى يحل عنى، وإذا به بعد كل هذا وهو يتأهب للانصراف يقول لى، يا أخى الواحد مايبستريحش غير فى بيته!!

والبيوت كالنساء تقع فى حبها من أول نظرة، فهناك بيت تدخله ترتاح له، وبيت آخر لا تستطيع المكوث فيه دقيقة واحدة، والبيت هو عنوان أهله وهو مناط الحكم على ساكنيه.

وإذا قرأت كتاب العقاد "بيتى" ستجد ارتباط الرجل ببيته كأنها علاقة عشق، ويصف لنا مشاعر امرأة دخلت بيته ورأت آلاف الكتب المتكدسة على الأرفف، فجالها كرشة نفس كانت ح تقلب بربو، وقالت له وهى تتنفس بصعوبة، ياه.. كل دى كتب.. وسرحت قليلاً لتتخيل هذه الكتب وبتاع الروبابيكيا يحملها على ساعديه خارجًا،

وهى تضع على الأرفف بدلاً منها.. دبدوب.. قطة.. بوبى.. وتنفست الصعداء وقالت لنفسها.. آه كده معقول.

والبيت هو الوطن، وفى اللغة الإنجليزية يستخدمون كلمة واحدة للتعبير عن المعنيين HOME، وإذا كان الرجل هو الشارع فالمرأة هى البيت، ولذلك ترى نساء مهاويس بالديكور، وأعرف زوجات عندهن مرض نفسى أسمه نقل الأثاث، فهى طول اليوم ليس لها عمل إلّا أن تنقل الكنبه دى من هنا لهنا، وتنقل أوضة السفرة إلى أوضة النوم، وتنقل الحمام تحطه فى المطبخ، وتعتمد على زوجها المسكين فى حمل الأشياء الثقيلة، حيث إن هذا هو دوره كراجل البيت. شيل الثلاجة، حاضر، زق لى الدولاب شوية، حاضر. يقف الزوج المسكين بالساعة والاثنين على السلم لكى يعدل لها برواز صورة الزفاف، هات يمينك شويه.. لأ.. لأ.. شمال شويه.. وسطن إيدك، وضاق الزوج بهذه الأشياء الثقيلة التى خدّلت ذراعه، وما كان منه إلّا أن ألقى بآخر حاجة شالها من النافذه، ولحسن حظه كانت هى زوجته.

ويقال إن المصريين القدماء، لم يهتموا بالبيت اهتمامهم بالمقبرة، وهذا لإيمانهم بفكرة البعث والعالم الآخر، ولذا اندثرت كل البيوت الفرعونية بينما تبقت المقابر وبحالة جيدة، وهذا ما كنت أحاول أن أقنع به إنسانة كنت أنوى أن أخطبها، قلت لها إحنا نشوف مدفن

كويس ونعمل له ديكوراته ونزوقه، فكانت إجابتها من هذا النوع من الإجابات التى لا أستطيع أن أكتبها فى مجلة محترمة.

أما فى العصر الإسلامى، فكانوا يعملون لدنياهم كأنهم يعيشون أبدًا، ويعملون لآخرتهم كأنهم سيموتون غدًا، ولذا تبقت الأضرحة والأسبلة والمساجد، وأيضًا تبقت القصور الفخمة والبيوت العامرة.

وحينما جاء الفاطميون إلى مصر، أمر المعز لدين الله الفاطمى قائده جوهر الصقلى، أن يشوف له شقة برحه كده يقعد فيها، فبنى له جوهر الصقلى شقة كده ع الضيق بها أربعة آلاف حجرة على أساس إن المعز لسه بيكون نفسه، يعنى، وقصور الفاطميين بالذات كانت أعجوبة تناولها المؤرخون وأطلقوا عليها القصور الزاهرة، نافورات وسراديب تحت الأرض، وفساطين ع الحيط وأشياء عجيبة، بيت أربعة آلاف حجرة!! معنى هذا أنك إذا أردت أن تذهب إلى الحمام فى بيت مثل هذا، لابد أن تسلم على أهلك وتعانقهم واحدًا واحدًا، وتشد رحالك إلى دورة المياه، وحينما تعود سيستقبلونك بترحاب شديد وستغنى لك الجوارى، حمد لله على السلامة.. يا جاى من السفر.

وفى العصر العثمانى، اتخذ البيت شكلاً آخر وانقسم جناحين، السلاملك والحرملك، وهذا للفصل بين الرجال والنساء، وكان معهم حق فى ذلك، فأنت تتزوج واحدة فقط، تعمل لك شنبور فى دماغك، فما بالك لو كان عندك حريم كامل، وصارت ثلاث جمل تقولها المرأة

لزوجها تقوده فورًا إلى مستشفى الأمراض العقلية، رايحه للخياطة، رايحه لدكتور السنان، رايحه لواحدة صاحبتى، دور بأه أنت بعد كده على الزوج المسكين ده؟! ولذلك حبس الرجال فى العصر العثمانى الحريم فى الحرملك، لأن كل واحد عنده تلتميت جاريه بتلتميت خياطه، وتلتميت دكتور سنان طيب ح يعمل إيه ده.

قال لى صديقى زوج الاثنين: أنا أعيش معهما فى بيت واحد بقالى عشرين سنة، والآن هما تعشقان بعضهما عشقًا، لقد وفقت بينهما تمامًا، قلت له أنت جبار، أنا أعرف واحد متجوز واحدة بس ومش عارف يوفق بينها وبينها هيه هيه نفسها.

والبيت هو السكن.. من السكون.. وهو المسكن من المسكنة التى يشعر بها رجل طيب أمام زوجة مفترية، فيغنى باكيًا مثل عبد الله الرويشد بيتى وبتقول بيتها، حيث إن أمها زنّت على ودنها كثيرًا لكى يكتب الشقة باسمها، قلت له فهمنى أنت راجل البيت والأ ست البيت فأجاب فى استسلام: أنا سبت البيت.

وفى الفن أيضًا البيت مشكلة، فهو يعبر عن المستوى الاجتماعى للبطل والبطلة، وعن الطبقة التى يتحدث عنها الفيلم، فشاهدنا أفلامًا كلها تدور فى قصور بسلالم داخلية، يعيش فيها ناس زينا كده، وأنا لم أر فى حياتى بيتًا مثل هذا، وأحيانًا نجد البطلة غلبانة دايقة المر وساكنه فى شقة مستويين، وتوجد شقة معينة لا داعى لذكر عنوانها اتصورت

يها مئات الأفلام، تزوج فيها أنور وجدى، وقتل فيها عماد حمدى، وحصل حسن يوسف فيها على شهادات الثانوية العامة، وفريد شوقى امد فيها أكثر ما قعد فى بيته. والبيت هو حاجة أساسية من حاجات الإنسان، والحيوان أيضًا فلا يوجد أسد بلا عرين، ولا توجد عصافير بلا أعشاش، ولا توجد قرود بلا جبلاية، إنها خصوصية المكان، ولذا هل تعرف عزيزى القارئ ماذا تفعل المرأة الفرنسية فور ما إن تصحو من نومها؟! بتروّح بيتها علطول.

فتاوى القهاوى

برّق لى بعينه الشمال وغمز لى باليمين، وقال فى لهجة خطيرة: اسمع اللى بقول لك عليه، وأضاف بعدها لحظة صمت للتشويق والإثارة، وهو لايزال يزغر لى وكأنه سيلقى بقنبلة، امسك اللقمة وحولها إلى قارب، ثم هبط بالقارب إلى طبق الملوخية وغرق فيه، ثم عاد وأنقذه بإصبعيه بمهارة، بعد أن أخفت الملوخية معالمه، وألقى به فى فمه، أخذ يمضغ وهو لا يحول نظره عنى، ابتسم فى ثقة وانقض على قرن فلفل مخلل وافترسه، وبعد التمزيق والطحن والمضغ قال لى: مشكلتك إنك لا تقرأ ما بين السطور، "وان واى وان تراك".. تتعامل مع الأفكار مثل التعيين بتاع الجيش، ما يضعونه أمامك تأكله. باختصار أنت غلبان، وسليم النية، يقولون لك ديانا ودودى عملوا حادثة تصدقهم.. يقولون لك إن الشاهد الوحيد فقد الذاكرة.. تبلعها، أنا غيرك بقى. أنا أفكر أدخل المعلومات دماغى دى وأحللها. دودى شاب مصرى. لقى بنت الحلال. حب يستقر ويفتح بيت. خلصوا

عليه، ليه؟! عشان مش عاوزين أى مصرى يشوف راحة فى عيشته وارجع شوية كده لورا.. مصطفى كامل. شاب زى الفل. بقاله حس واتكلم وفضحهم عملوا إيه؟ خلصوا عليه. اعترضت بسرعة قائلاً: لكن مصطفى كامل لم يغتله أحد، تجهم وجهه وقال، طيب اسكت، انت عبيط باين.. طيب وأحمد عرابى. اتكلم فى عرابى كمان. قلت له عرابى نفوه. قال لى فى عصبية. هلفط، هلفط فى الكلام، ما هو كله بيتكلم النهاردة.. افتى.. مين قال لك إن عرابى نفوه.. قلت له الرافعى هوه اللى قال كده. قال فى غيظ.. قعدت مع الرافعى؟ اتكلمت معاه؟ خلاص بقى ماتفتيش.. وهل تصدق أن متخلفًا عقليًا هو الذى عمل حادث الأتوبيس السياحى؟ هل يدخل مخك هذا الكلام؟ قلت له ولكنهم قبضوا عليه هو وأخيه، نظر حوله كمن سيدلى بسر رهيب، وقال لى: اسمع اللى حاقوله لك ده، اللى عملوا حادثة دودى هما اللى عملوا حادثة الأتوبيس، والكلام ده ليك أنت بس.. إنها عصابة واحدة الأسلوب الإجرامى نفسه، السواق مات هنا وهنا، والعربية بقت خردة هنا وهنا.

دول قاصدين مصر، ودول قاصدين مصر، يبقى إيه؟ والنبى تركز معايا شوية، السياح اللى كانوا فى الأتوبيس جنسيتهم إيه؟ مش ألمان!! قلت له أيوه، قال لى وكأنه يعطينى بديهية، والألمان دول كانوا بيحرقوا مين وبيحطوهم فى الأفران؟! قلت له اليهود، ابتسم لأننى على ما يبدو

بدأت أجاوب صح، قال لى أنت طبعًا لم تعش هذه الأيام، كانوا يحرقون اليهود ويعملوهم صابون، صابون غسيل، وماكانش بيرغى كمان، فهمت قصدى!! قلت له لسه شوية، قال لى عادوا لينتقموا من الألمان ما تصحى بقى، قلت له تقصد أن، قاطعنى قائلاً: دى باينه زى الشمس، قلت له وما علاقة اليهود بدودى وديانا؟ ابتسم والغباء ينط من عينيه وقال. من الذى أعطاهم وعد بلفور مش الإنجليز!! ده لعب كبير يا أستاذ مصالح عليا، طيب قول لى كده إيه اللى جاب "أوربرايت" إسرائيل، "وهكذا نطق اسمها غلط" قلت له: متهيأ لى عشان عملية السلام. ضحك ضحكة كبيرة ساخرًا من كلامى، عملية السلام!! ألم تسمع يا عزيزى عن بناء المستوطنات، أوربرايت دى بقى اللى ماسكة المقاولة، أقرأ ما بين السطور يا حبيبى. تأملها جيدًا. لاحظ الشبه الكبير بينها وبين شوال الأسمنت الأبيض، أفهم تصريحاتها يا عزيزى. تأملها. أسمنت وطوب وزلط ورمل. إنها تؤيد البناء عشان لها سبوبة فى هذا البناء. ولذا فهى لم تعترض على أطفال الحجارة فهمت لماذا، قلت: فى الحقيقة لا. قال لى آلاف الأطفال يقذفون بكميات مهولة من الزلط والطوب، هما شوية أسمنت مسلح على شوية رمل والخلطة اتعملت، إنهم يوفرون لهم مئات العربات التى تنقل الزلط.

ولذا أنا أود أن ينتبه أطفال الحجارة لهذا، ويغيروا من خطتهم. يضربوهم بالبيض، لا يمكن استخدامه فى البناء كما تعلم، إنها مجرد

أفكار دونتها فى كتاب ليكون درسًا للأجيال المقبلة. فأنا أكمل ما بدأه المقريزى والجبرتى على قدى طبعًا، التفت نحوى فجأة وسألنى، هل تعلم لماذا يأكلون أظافرهم فى غل وغيظ بعد ماقفشنا الجاسوس بتاعهم عزام عزام ده؟ قلت له لا. قال لى: تخيل ما فعله فيهم محمود عبد العزيز فى المسلسل بتاع رأفت الهجان، ومع ذلك يعيش حرًا طليقًا لا يجرؤ أحد أن يمس شعرة منه، ده إحنا فاجرين قوى يا جدع، بينما وقع الخايب بتاعهم انطش حكم، وهم يلطمون مثل الولايا. مش قد التنطيط بتنطط ليه. كان يعتقد أنه مسنود من فوق وتليفون من "كلينتون" ولا زيارة من "أوربرايت" ح تخلص الموضوع إنما ينسى، ده غير التجسس ممسوك بوقية حشيش قد كده فى جيبه، ومعاه مطوة قرن غزال، وبعدين يا أخى الجماعة دول البخل فى دمهم، ده حتى أبوه استخسر يسميه اسم تانى، قال عزام عزام، كأن مفيش غير الاسم ده هناك، وبخلهم هذا هو الذى يدعوهم للإصرار والمطالبة بإطلاق سراح عزام. قلت له وكيف هذا؟ قال لى كلام فى سرك عزام ماضى عقد معاهم إن مرتبه شغال وحوافزه وبدلاته طول ما هو فى مصر. واخد بالك، هما عاوزينه يطلع عشان يعملوا له إخلاء طرف من عندهم، ويدوا له مستحقاته بمشوه. خسارة قريبة يعنى أحسن ما يقعدوا يدفعوا له خمستاشر سنة ورا بعض. علقة برضة. ابتسم فى سعادة وقد بهرنى حديثه الشيق عن أسرار أسمعها للمرة الأولى، وقال: طبعًا عمرك ما سمعت الكلام ده؟ قلت له: طبعًا. أجاب

مبتسمًا. دى معلومات من فوق فوى، تسمع آخر واحدة وتقوم تمشى على طول. قلت له يا ريت. رافقنى إلى الباب وصافحنى ثم قال لى، ديانا لسه عايشة. فتحت فمى مندهشًا فى بلاهة. إيه!!

قال لى بتقل وهو يهز رأسه فى ثقة. عايشة وشغالة فى مصنع نسيج ودودى معاها. واخدين شقة صغيرة كده مطرحين وصالةَ. وعايشين حياتهم: هيه مسمية نفسها فايزة وهو مسمى نفسه جاد الله، بس الكلام ده لك أنت بس.

لف رقبتك يا عزيزى

اقترب منى وسحبنى من وسط المجموعة والقعدة، وقال لى بلهجة آمرة: عاوزك. وبرغم السحبة التى سحبنى بها من ياقتى فهو ليس ضابط مباحث ولا وكيل نيابة، وليست لـه أى سلطة قانونيـة فى ضبطى وانتزاعى مـنْ بـين شلتى، إلا سلطتـه كصاحبى.

الله يلعن الصحوبية اللى تقل مزاجك يا أخى، عاوز إيه.

دفعنى فى ركن وقال. أنا محتاج أتكلم معاك.

كان صاحبى هذا قد ارتبط بفتاة وانفصلا، وكان قد دوشنى بها فترة الانفصال، حتى مللت من كثرة ما يحكيه عنها، ثم أخذت حكاياته عنها تخف تدريجيًا. حتى نسيها تمامًا، وأنا بوست إيدى وش وضهر وحمدت ربنا.

قال لى بعصبية: أنا فاشل مش كده؟ نظرت له من فوق لتحت، وقلت له: فى إيه بالضبط؟.. قال لى: ماتتفلسفش. فاشل ولا مش

فاشل؟ قلت لـه فاشل فاشل ما تزعلش لكن لم السؤال؟ قال لى رأيتها اليـوم.. (يقصد الفتـاة التى ارتبط بها) تركب سيارة جديـدة موديـل السـنة.. ترتـدى فستانًا أنيقًا ونـزلت قـدام بيتـى ودخلت المحل.

إنها تريد أن تقول لى إنها صارت ياما هنا ياما هناك. إنها سعيدة وناجحة فى حياتها. وأنا فاشل. قلت له روح يا شيخ الله يلعن أبو إحباطك على يأسك على فشلك فى يوم واحد.. فيه إيه!! شباب هـذا الجيل مالـه؟ يعشقون الشكوى والنـدب، بعكس فتيات هذا الجيل، البنت من دول عنـدهـا إرادة وعزيمـة ونشاط وحيويـة تهد بلد. سابها النهاردة هـى بالليـل بتعمل شعرهـا وتلبس البـودى عـلى الاستريتش وتنسى أهلـه.. الحيـاة عندهـا لا تتوقف، ولا أنسى يوم عرفت فتاة من هـذا الجيل وكنت أتعجب من مقدرتها الفذة على مواصلة الصحيان. إنها لا تنـام، وهى غـير بطلة إحسان عبـد القدوس (لا أنام) فالثانية لا تنام من فرط التفكير والإحساس بالذنب، أما صاحبتنا فكانت لا تنام لأنها ترقص طول الليل، وتسهر فى أمـاكن شيك وتخرج مـن قصة حب لتدخـل فى قصة جديدة. وكنت فيها بينى وبين نفسى أحسدها، أقر عليها وكنت أقول لها: كـل دى هرمونـات يـا عزيزتـى؟! وبسببها ذهبت إلى التأمـين الصحى أشكو للطبيب حالـة الخمود والكسل والنوم الدائم، التى أصابتنى فى الفترة الأخيرة. تحسسنى الطبيب بيده الخبيرة ثم سألنى: كم ساعـة تنـام فى اليـوم. لـم أرد. أعاد الطبيب سؤاله. بتنـام قـد إيه فى اليوم.

هنا رددت عليه قلت لـه خ خ خ خ خ كنت فى سابع نومة. هزنى وقال: ألم تذهب إلى جنوب أفريقيا فى الأيام الماضية؟ كان يقصد أن ذبابة التسى تسى ربما قامت باصطيادى وأنا أتمشى فى أنجولا، والحقيقة أن المشكلة لم تكن فى ذبابة التسى تسى.. إنها كانت فى فتاة الجيل الجديد الروشة التى روشتنى وجعلتنى ألضم الليل بالنهار.

أخرجنى من غفوتى صديقى الكئيب الذى كان يردد باستمرار، أنا فاشل مش كده، قلت له يعنـى إيـه نجاح!! يمكن أن نقـول نجح تاجـر المخدرات فى ترويـج الهيروين بين الشباب، ويمكن أن تقـول أيضًا نجح البنوليس فى القبض عليـه وجرجرته من قفاه إلى السجن، ده نجاح وده نجاح. فى مسرحية الزيـارة لدورنمات عـادت السـيدة التى طردت من البلد زمان لسوء سلوكها، عادت وقد صارت مليونيرة، ذات قوة وبأس لتساوم أهل البلد، تريدهم أن يصبحوا عبيدًا لفلوسها. فهل نجحت هذه السيدة؟ إن نجاحها يا عزيزى نجاح فالصو. لو كانت الأرض من ذهب لتقاتل الناس من أجل حفنة من التراب. فهمتنى لو التراب عزيز، كانت السيدة الأنيقة هى التى تخرج متمرغة فى التراب، وستحسدها النساء الغلابة وهن ينظرن إليها وعلى صدورهن الحلى الذهبية الحقيرة ويقلن عنها بحسد جوزها مغرقها تـراب بابختها. وربما زينت معصمها بقطعة من الطين وهذا ما يسمى بالثراء الفاحش.

أجدادنا الفراعنة كانت عندهم قناطير مقنطرة من الذهب، لدرجة أن ملوك أحد البلاد بعث برسالة للملك أمنحتب الثالث يقول فيها: أخوك تعبان وانت عندك دهب يكفيك ويفيض، ما تبعت لى حاجة، هذا بالضبط ما كان فى البردية التى أرسلها الملك المزنوق، وهذا يعطيك فكرة أن القر كان من الملوك أيضًا، وإننا منظورون من آلاف السنين، تنهَّد صديقى وقال لى:

كثيرًا ما ينتابنى شعور بأننى أنفخ فى قربة مقطوعة، وأتساءل ما جدوى كل هذا؟! لا شىء من حولى يتغير، ولا أنا نفسى أتغير ما جدوى الكلام؟ مادمنا لا نسمعه وما فائدة الكتابة مادمنا لا نقرأ؟ كل المؤلفات والروايات والأقلام التى تناولت موضوع الفساد والرشوة ، لم تستطع أن تفعل أى شىء، لا يزال الموظف إياه ينظر لى نظرة قاطع طريق وهو يقول: فتح مخك، ولايزال صديقى الجاهل الأمى هو الذى يعلمنى ويعطينى دروسًا خصوصية فى فن الحياة، مشى حالك ح تكلمنى فى المبادىء والمثل، أنا مش ناقصك يابا. حتى مجرد الكلام فى المبادئ صار شيئًا مستهجنًا لدى خبراء الحياة، وأساتذة هذا الزمان، فرسان هذا العصر لا يركبون حصانًا وإنما يركبون أشباحًا، وعندهم منهج ويؤلفون كتبًا، ولكن كتبهم ليست منشورة. وإنما هى أفكار ينشرونها أحسن من توزيع الأهرام، وحينما ينتابنى هذا الشعور إياه بالإحباط وخيبة الأمل، أدرك تمامًا أن منهجى المزعوم

منهج فاشل، وأعيد ترتيب أوراقى على الفور، أين الأبواب الخلفية يا حضرات؟ وورونى الباب بس، خلاص أنا أشوف المدخل وسيبنى بعد كده، واتسلح بكل أسلحتى أولاً، الكذب سأكذب كما أتنفس، لن أنطق حرفًا صادقًا. يستوقفنى سكرتير الباشا ويسألنى وهل هناك ميعاد مع الباشا؟ سأقول بالتأكيد، وأنا لم آخذ منه أى ميعاد هكذا فى بدايتها كذب، مادامت فى يدى الهدية التى سأعطيها للباشا، وماله، الملك فاروق نفسه كان يأخذ هدايا من رعاياه، دى حاجة بسيطة كده يا باشا مش قد المقام. هذه كذبة أخرى فالهدية أكبر من مقامة بكثير، سيأخذها بسعادة ويسألنى: طلباتك، اؤمرنى. وهنا سارد قائلاً: أنا ماليش أى طلبات أنا جى بس أصبح على سعادتك. وهذه أكبر كذبة. وإذا دخلت تلك الفتاة الناعمة وجلست. أتذكر موعدًا مهمًا جدًا يجب أن ألحق به. وهذه كذبة حقيرة. غرضها الإنشائى إخلاء الجو للباشا مع الفتاة الناعمة. وإذا تجرأت الفتاة الناعمة وعبرت عن إعجابها بى أمام الباشا سأتجاهل إعجابها. وأحول دفة إعجابها بذكاء شديد نحو الباشا. وإذا عطس سيادته. سيرى ملامح الانزعاج على وجهى خوفًا عليه من دور برد فظيع. وسأتجلى وأنا أصف له ملعقة العسل الأبيض مع الليمون، وحبة البركة ودواء أمريكانى عندى حابعته له بالليل، وحينما أقدم رشوة لأحد سأقدمها بشياكة، وأطلق عليها اسمًا جديدًا لأن الاسم وحش، رشوة، فالراء مع الشين تعطى انطباعًا رديئًا على الودن. ح اسميها بوسة، هكذا سأوزع قبلاتى

على الموظفين اللطاف، وإذا سمعت أن ابنة الباشا داخلة الجامعة الأمريكية. سأتساءل فى هم وشجن والهانم الصغيرة عندها عربية! وقبل أن يجيب سأنقض عليه أنا عندى فيليشيا خضرا حكاية، ثم أرفع تليفونى المحمول وأطلب الأجانس، كلمتين ثم أبتسم وأقول له العربية تحت بيت سعادتك يا باشا، بعد دقائق ستتصل الهانم الصغيرة. أيوه يا حبيبتى. عاجباكى. لأ. مانشكرنيش أنا أشكرى عمو. وأنا طبعًا عمو، سأتلقف منه التليفون لأكلم الهانم الصغيرة التى هى فى منتهى السعادة، وأشعر بالامتنان لأننى رسمت البسمة على وجوه عائلة الباشا، لن أكتفى بكل هذا، كتاباتى هذه سأهبها لمن يحتاجون إليها، النهاردة نتكلم فى السجاد، وبكرة فى السيراميك، وبعده فى المصانع العملاقة التى تنتج البطاطس المقلية والبسكويت، تلك المشروعات العملاقة التى تدفع بعجلة الاقتصاد.

أما أنت يا عزيزى القارىء. فلن أراك أساسًا. فأنا منذ سنوات أكتب لك فلا انصلح حالك ولا أحوالى أنا راخر. سأكتب للنصف الملآن من الكوب. لا أريد أن أنشغل بالنصف الفاضى. وبدلاً من أن أتكلم عن البطالة. سأتكلم عن رجال الأعمال بكل حب، بكل تبجيل. ولن أكتب روايتى الجديدة عن هذا الفقير الذى يعانى من شظف العيش، وصعد فى سلم المجتمع بعرقه وصار غنيًا، هذه قصة

سخيفة لاسيما الجزء الأول منها، إنما أنا عندى موضوع يجنن عن مليونير غنى جدًا جدًا. كافح وتعب حتى أصبح مليارديرًا جدًا جدًا. سأستثمر كل إمكانياتى. آه. بالمناسبة أنا عندى قدر من اللطف والخفافة والفكاهة، يجب أن استغلها برضه، سأحفظ كل النكات، وأنا على فكرة شاطر قوى فى أداء النكتة. فكلما وجدت الباشا متضايق شوية اسمع دى يا باشا بيقولك مرة واحد.. هاها.. هاها.. وسأختار النكتة بعناية حتى تخلو من الإسقاط. معظمها على الفقراء فهذا مضحك أكثر. ولن أكون مرسلاً فقط سأعطى الباشا فرصته الكاملة لكى يقول آخر نكتة هو الآخر، هذا مهم على فكرة، وبعد أن يقول لى نكتته الثقيلة البايخة. سأقع من على الكرسى من فرط الضحك، وسأخبط برجلى فى الأرض الله.. الله.. ياه.. دى نكتة.. مجرمة، يخرب عقل سعادتك، برغم إنها ليست آخر نكتة وإنما أول نكتة سمعتها، وأنا فى الصف الثالث الابتدائى. لكن أداء الباشا لها برضه. حكاية. فيها حاجة جديدة، وحينما يخرج الباشا سيجاره الضخم سأعلن اعتراضى على تدخينه، لأننى أخشى على صدره، وفى الوقت نفسه أنا الذى سأبادر بولاعتى وأولعه له.

قلت له، اسمع، تضطرنا الحياة أحيانًا إلى الإنحناء قليلاً، ضد طبيعتنا الإنسانية، فالإنسان كائن واقف مشدود رأسه إلى أعلى، وصراع الحياة الحقيقى أن يظل هذا الرأس مرفوعًا متشامخًا قائمًا، مثل

العمود الفقرى، ولكنه يجب أن يكون مثل الحمامة حينما تنحنى لتلتقط الحبوب، لا يحنى القامة إلّا أكل العيش.

أعرف مليونيرًا يا عزيزى، يملك كل شىء فى الدنيا. لكنه لا يستطيع أن يحرك رقبته، تصور أنه إذا أراد أن ينظر إلى الخلف يجب أن يدير جسمه بأكمله، احمد ربنا.. أنت تستطيع أن تلف رقبتك وتطأطأها كمان، هنا قام صديقى من أمامى.. ولف رقبته بكاملها. ثم لف جسمه وتركنى بلا سلام.

لا مؤاخذة!!

فى نهاية فيلم "دعاء الكروان"، تسمع صوت طه حسين الساحر وهو يقول: "دعاء الكروان أتراه يرجِّع صوته هذا الترجيع، حينما صرعت هنادى فى هذا الفضاء العريض"، صوت وأداء وجمال آخاذ يأخذ بلب المستمع، يقولـون إنه أخذ مائتى جنيه لمجرد أن يقول هذه الجملة بصوته، والله العظيم يستاهل كان الرجل حينما يتكلم فقط تشعر كأنه يغرد، كانت الألفاظ تخرج من فمه مرتدية أبهى الثياب تتمخطر متأنقة وعلى سنجة عشرة، والكلام متعة وله طعم ومذاق وكل شىء فى الدنيا كلام، فالحب كلام والحروب تبدأ بكلام وتنتهى بكلام، والكلام مستحب فى كل وقت وفى ليلة الزفاف كانت العروس خجول صامتة فصرخ فيها العريس قائلاً (كلِّمنى، كلِّمنى كلم كلم، فهمنى).

فأجابت العروس (كلام كلام، كلام بس ما باخدش منك غير كلام)، ودخلت الحماة لتفض الشجار بين العروسين قائلة: (ياللى من

البحيرة وياللى من أهل الصعيد، الكلام مش وقته خالص العمل مو
المفيد).

وفى دولة الكلام من يطلق عليهم مكلمة، أى محترفو الكلام، والإنسان يولد ويظل يتكلم ويتكلم إلى أن يموت، وهناك من يولدون ويعيشون ويموتون ولا يقولون شيئًا، وكان الحوار اليومى قديمًا حوارًا جميلاً، فعماد حمدى حينما كان يدخل على أمه فى الفيلم قائلاً بود: "سالخير يا نينا" أو "نهارك سعيد يانينا" كان فيها رقة وجمال وأدب، بصرف النظر عن مسألة أن عماد كان فى نفس عمر نينا، فهذه مسألة ثانوية، لكن المهم أن هذه الألفاظ الجميلة اختفت من حوارنا اليومى، وظهرت بدلاً منها ألفاظ أخرى وأشكال حوارية غاية فى الغرابة.

وعرفت منتجًا قرر أن يقضى بعض الوقت فى أوتيل، واتصل بى قائلاً، إنه يريد أن يحصل على فترة (استنجام) لكى يريح فيها أعصابه، وأن الطبيب لتوه خارج من عنده، كان يقيس له (النفط) وأنه نصحه بأن يسافر إلى الخارج، ولذا فقد جهز (البزابورت) وأخذ (الفيسا) وحجز (تتك) الطيران، أصر على أن أذهب إليه فى الأوتيل لأودعه وحينما سألته أين نلتقى فى الأوتيل قال فى ثقة (فى الرشبشب)!!

ثم إن ألفاظًا غريبة بدأت تحتل مكانًا لها فى عاميتنا اليومية، خذ مثلاً لفظة لا مؤاخذة، عرفت رجلاً قال أمامى سبع عشرة لا مؤاخذة فى جملة واحدة، أصل الحالة ولا مؤاخذة مابقتش ولا مؤاخذة

مش عدو ولا حبيب ولا مؤاخذة، ما موقع لا مؤاخذة من المعنى؟! ماذا أضافت؟!! لا شىء ولا مؤاخذة.

ثم إننا نقول (ماشى) عمال على بطال، إذا أعطيت الجرسون بقشيشًا يدسه فى جيبه ولا يقول لك شكرًا ممنون، وإنما يقول لك ماشى، ونستخدم كلمة ماشى أيضًا للاستفهام، أشوفك بكره، ماشى؟!! أو للاطمئنان نسمعها فى المكاتب الحكومية ماتخافش موضوعك ماشى بالصلاة على النبى.

والتفسير الذى طرأ على ذهنى أن كلمة ماشى، انتشرت حينما أصبح كل شىء فى حياتنا مش ماشى، وكلمة (بالهبل) تقولها كل من الطبقة الراقية والطبقة الشعبية، بغرض التعبير عن الكثرة، فيقول "قشطة بالهبل" وقشطة بالعبط"، شىء جميل والله، فلم يجدوا سوى الهبل والعبط والعياذ بالله لتوصيل المعنى، ولا أنسى تلك الفتاة الرقيقة التى وقفت فى نادى الجزيرة تحكى لصديقاتها، كيف ثقب إطار سيارتها، واضطرت أن تغيره بنفسها، وخبطت على صدرها وشهقت قائلة: يا نهار موقف!!

سألت أحدهم عن سبب هذه المهزلة اللغوية التى نعيشها، قلت له هل هو الإعلام؟! فأجاب "ينكن"، فقلت له: هل هى الأمية؟! فأجاب: "مونكن".

ماذا يحدث إذا عاش طه حسين فى أيامنا هذه؟ بصوته الرخيم وحديثه العذب؟ ماذا يحدث لو دخل أذنيه هذا التلوث اللغوى الرهيب؟

أريد أن أتخيل طه حسين عميد الأدب العربى، جالسًا أمام التليفزيون وهو يسمع (يسمع فقط بالطبع)، أنا أنا الواد الجن.. يالا.. يالا..يالا..

فى اعتقادى وعلى أقل تقدير كان الرجل سيفقد حاستى السمع والنطق أيضًا، ولا مؤاخذة.

ذنبك على جنبك

لولا هذه الصفة الإنسانية المجردة، لكانت الدنيا ولعت، ولأكل الناس بعضهم بعضًا، إنها نعمة الشعور بالذنب أرقى الفضائل الإنسانية وأرفعها، أن النمر المفترس حينما يثب على غزالة بريئة تتمخطر فى الغابة وينشب أظافره فيها، ويتركها بقايا جثة هامدة للنسور والجوارح لا يشعر بأى ذنب، وإنما يمشى سعيدًا، ولا أصدق على الإطلاق حكاية الأسد الذى اعتدى على المدرب الشهير الحلو فى السيرك وقتله، ثم اكتأب ومات من زعله عليه، هذا كلام لا يدخل مخى، فالعصافير الرقيقة التى تظل تغرد فى الأقفاص، تحيلها الجنونة فجأة ويتحول ذكرها العصفور الوديع إلى سفاح ينهال على عصفورته وأولادها وبيضها بمنقاره الحاد، وينتف ريشها وبعد أن نخرج الضحايا من القفص، ونحن نتقطع حزنًا يظل هو بكل رزالة يزقزق ويغرد سعيدًا، وكأنه يغنى بابا قول لماما إيه، بابا أوبح وعليه نفخر نحن البنى آدمين بعقدة الشعور بالذنب العظيمة هذه، ونتباهى بها

ونضع أصابعنا فى عيون كل الحيوانات والطيور والأمريكان أيضًا، فهم للحق دونًا عن سائر البشر لا يشعرون بأى ذنب، فأرقى ما فى الإنسان أن يحس بغلطته ويشعر بالندم، ويجيلك ويقولك أنا غلطان، أنا أسف.

ولكنهم أساتذة فى المماطلة والتسويف، بل إنهم أسسوا بالفعل ناديًا عام ١٩٥٧ اسمه نادى التسويف الأمريكى، شعاره أجل كلام اليوم إلى الغد، ويقول "ليس والاس" رئيس النادى إن كل شىء فى الدنيا جدير بالتأجيل، وأعضاء النادى لا يدفعون الاشتراكات المستحقة عليهم فى مواعيدها، بل يسوفون، ومن يدفع فى موعده يطرد من النادى، أما الهدف النهائى الظاهرى للنادى فهو تأجيل الحروب حتى ننسى فى النهاية الأمر الذى كنا نحارب من أجله، والتأجيل هنا يخصنا نحن فقط على ما يبدو والشعور بالذنب شعور مؤرق.. ويقول البابا يوحنا الثالث والعشرين: كثيرًا ما أصحو ليلاً فى شبه يقظة وأنا أفكر فى مشكلة خطيرة وأشعر بذنب كبير تجاه شىء ما، وأقرر أننى يجب أن أعترف للبابا وأسأله عما أفعله بشأن ذلك، ثم استيقظ بعد ذلك لاكتشف أننى أنا البابا، وأعرف أبًا كان يكافئ ابنه ويدلله على كل شىء يفعله، لعبة صغيرة عجلة، سيارة، فماذا كانت النتيجة؟ طفل سعيد لا يسبب أى متاعب ولكنه بعد ذلك صار زوجًا ترى زوجته

منه الويل، فكلما فعل أى شىء تافه، يتوقع المديح من زوجته، والثناء عليه، إذا سرح شعره ينتظر أن تقوله له الله شعرك يجنن وإذا دخل الحمام يريدها واقفة خلف الباب وهى تهتف له ياللا، شاطر، برافو يا حبيبى، وحينما ذهب إلى الطبيب النفسانى قال له إن مشكلتك أنك واجهت طفولة سعيدة، وأنت مصاب بعقدة ذنب بسبب ذلك.

ويحكى أن سيدة كانت تسأل عن زوجها فى التليفون، وكلمت الكباريه الذى تتوقع أن يكون ساهرًا فيه، فسألها صاحب النادى.. وكيف أعرفه يا سيدتى إن الكباريه ملىء بالرجال قالت له الزوجة.. إنه الرجل الذى يبدو عليه الشعور بالذنب، فدخل الصالة وجابه من قفاه، اسأل نفسك يا عزيزى دائمًا، هل أنا ظلمت فلانًا هل تجنيت عليه؟ فإذا شعرت بالذنب، فأنت بنى آدم، وإذا لم تشعر ذنبك على جنبك اسأل نفسك يا عزيزى هل بصبصت لفلانة.. هل سبلت لها؟ ثم عد إلى نفسك وقل لها ومراتى الغلبانة الطيبة ذنبها إيه؟! هذه بداية عبقرية لعائلة سعيدة، فإذا نكدت عليك المدام بعدها سيبها لضميرها، فقد تشعر هى بالذنب يومًا ما، وإذا ظلمك أحد حاول أن تجعله يشعر بالذنب، ولكن بلطف فقط قطّمه كده، تقطيم على خفيف، افعل مثلما فعل المريض

الذى طالت فترة انتظاره فى العيادة، حتى جاء عليه الدور وقال له الطبيب باقتضاب: معلش اتأخرت عليك، فقال المريض لقد كنت فقط أرجو أن تأخذ فكرة عن المرض، وهو لا يزال فى مراحله الأولى وسقط مغشيًا عليه.

إحنا كده
حنعيش كده ونموت كده

جاءنى وفى عينيه أشد حالات اليأس والبؤس معًا، جلس صامتًا وهو يهز رأسه فى أسى، كأنه يكلم نفسه ويوافق على ما يقوله، ثم فجأة وجدته يقول لى كأننى كنت أشاركه حواره الداخلى الصامت: خلاص بأه.. مفيش غير كده.. يضايقنى هؤلاء الذين يبدأون كلامهم من نص الموضوع، وأتعمد أن أغيظهم أكثر فلا أسألهم عما فاتنى من كلام، لم يبوحوا لى به، قلت له، فغلاً، مفيش غير كده قال، هيه قفلت على كده قلت له خلاص مادام قفلت، على كده خليها كده، ثم عاد يسألنى ولا أنت مش معايا فى كده؟! ترددت كثيرًا قبل أن أسكعه قلم على وشه، ولكننى تمالكت نفسى وقلت له: لأ معاك طبعًا، وإذا به يقول لى: هيه عاوزه كده وأنا مش عاوز كده، بس مادام مفيش قدامنا غير كده يبأه نعمل كده.. يعنى هو احنا أول ناس نعمل كده، ما فيه ناس عملت كده وعايشين حياتهم كده، وهكذا يا أعزائى حتى تعذرونى لأى تصرف أحمق أتصرفه مع واحد كده، فها هو يذكر لى سبع مرات كده-

وأنا لا أعرف ماذا يعنى بهذه الـ "كده" أمسكت به من رقبته وقلت له انطق.. فهمنى.. بتقول إيه.. قال وهو يبعد يدى عن رقبته، ما أنا بقولك م الصبح أنت سرحان ولا إيه قلت له، لا أنا فايق قوى ومركز لك قوى.. قال زوجتى يا سيدى تطلب الطلاق ـ وتصر عليه واليوم سأنفذ، قلت له أهدأ بس تتفاهم، كم مر على زواجكما؟ قال.. سنة وبضعة أشهر، قلت له وكم كان عمرك حينما تزوجت؟ أجاب ٣٥ سنة قلت له جميل، إذا كان قرار الزواج قد أخذ منك ٣٥ سنة، فهل تأخذ قرار الطلاق بعد سنة واحدة؟ الزواج نص الدين فهل تتخلى عن نصف دينك بهذه البساطة؟ والله أعلم بالنصف الآخر، قال لى هذا ليس قرارى هذا طلبها هى، قلت له: إن الزوجة التى تطلب الطلاق لا تختلف عن البنت التى تمتنع عن الزواج، كلاهما تريد وتدعى أنها لا تريد.

قال لى والحل، قلت له المفاوضات! سألنى: وما هدف المفاوضات؟ قلت له باسمًا، الهدف هو المفاوضات نفسها، ألا تقرأ ما يحدث حولك، إن المفاوضات هى أكثر الأوضاع استقرارًا لأى مشكلة، ألا تذكر مفاوضاتنا مع الإنجليز من أجل الاستقرار، ووفود رايحه ووفود جايه والدنيا ماشية والكل بيتغشى عشرات السنين، بلاش، ألا تتأمل مفاوضات الساعة التى تحدث الآن.

باراك بيقول لا، وبعدين قال ماشى، وبعدين عرفات قال لا، وكلينتون قال خلاص قربنا، طلعنا النفوس الوحشة من وسطينا،

صدقنى، أبدأ المفاوضات، النهاردة اقعد مع خالها، وبكره مع أخوها، وبعده مع أمها، قالى أمها هى المشكلة قلت له، كويس، خليها مرحلة متأخرة من المفاوضات، عشان تبوظها وترجع تبدأ من الأول تانى، وتركنى صديقى وقد أقتنع بوجهة نظرى، كان هذا عام ٩٤، ولازالت المفاوضات مستمرة، وهو فى بيته مع زوجته وبنته ما شاء الله بأت فى أولى إعدادى، وقد انحصرت المشكلة الآن فى نقطتين يتفاوضان بشأنها، الشقة واللاجئين قصدى القدس والعيال، ولن تحسم هذه المشكلة قبل جواز البنت بإذن الله، ويبدو أن صديقى عمل برأيى فى كل شىء، فقد أنذره صاحب البيت بترك الشقة حتى يزوج فيها ابنه، فلم يعترض وإنما دخل معه فى مفاوضات، وحينما ذهبت إليه وعلمت إنه فتح مطعمًا بجانب الوظيفة واستاء مديره فى العمل من تفرغه للمطعم وطلب منه أن يستقيل أو يترك المطعم لم يفعل هذا ولا ذاك، ولم يعترض وإنما دخل مع مديره فى مفاوضات، وحينما ذهبت إليه أطلب منه الثلاث آلاف جنيه التى استلفها منى حينما فتح المطعم، لم يعترض وإنما قال لى ببساطة وبابتسامه على شفتيه، طيب، اقعد، نتكلم.

مساء الخير.. يا فرغلى

لى صديق شكاك، يشك فى كل شىء حوله، فى أقرب الناس إليه، يشك حتى فى نفسه، قال لى ذات مرة وهو يأخذ نفسًا عميقًا من سيجارته، مطلقًا دخانه فى الهواء شاردًا، مفكرًا مهمومًا، قال لى: الوليه أمى دى بتعاملنى معاملة غريبة قوى.. تفتكر ليه؟! قاعدين ع الفطار ودى نازلة دلع فى الواد حمادة أخويا، وعمالة تأكله بأيديها وأنا مديانى الطرشة، تقصد إيه؟! قلت له يا فرغلى يا صديقى، حمادة هو آخر العنقود وأنت تعلم أن الابن الأصغر غالبًا يدلل من المحيطين به.

واستمر فرغلى فى شكوكه مستطردًا والجدع أبويا كان قاعد شاف بعينه كل حاجة وما اتكلمش، ونظر لى فرغلى وقد بدأ يصدق نفسه قائـلاً: ما تفهمنى يا عم اللى بيحصل ده، هو اضطهاد بقى ولا إيه ولا أنا مش ابنهم، ولا إيه الموضوع بالضبط؟ وفرغلى طيب القلب ولكن شكه هذا جعله لا يثق فى أى شىء من حوله، ولذا إياك أن تضحك بسبب أو بدون سبب أمام فرغلى، لأنه فى الحال سينقلب ضدك ويقول

لك: إيه بتضحك على إيه يا جدع إنت؟! أنا فاهمك كويس!! الضحكة الصفرا دى أنا عارفها كويس!! إيه! أراجوز أنا قدامك؟! قال هذا لصديقنا الذى كان واقفًا بجواره فى الأسانسير وكان صديقنا يخرج شوكة انحشرت بين أسنانه، فاضطر أن يفتح بقه ليخرجها ولم يكن يضحك أساسًا.

وحينما أقدم فرغلى على مشروع خطبة ذهبت معه لنخطبها له، وفور أن جلس همس لى قائلاً: يا أخى مش عارف مش مستريح لأمها، ليها بصات غريبة كده ماتطمنش، تبقى بتكلمك أنت وعينها عليا أنا، مراقبانى طول القعدة. قلت له يا فرغلى ارحمنى، الست مظلومة ألم تلاحظ أنها حولاء، وتمت الخطبة أخيرًا، وفى فترة الخطوبة لاحظت أن فرغلى يرتدى ملابسه فى السابعة صباحًا، وينزل ليعود بعد ساعة ثم ينزل فى الثالثة عصرًا ويعود بعد ساعة، ولما سألته علمت أنه يراقبها، يراقب خطيبته، لماذا يا فرغلى هل رأيت عليها شيئًا؟ أجابنى فى ثقة: لا لم أر عليها شيئًا، ولكن لن يغمض لى جفن حتى أحصل على الدليل، الدليل على ماذا!! قال لى: الدليل أنها بريئة كما تحاول أن تظهر لى، وجاء لى يوم محطمًا وأخذنى من يدى وقال لى: تعالى، سأريك بعينيك، لا تثق فى أحد بعد الآن، تعالى، وذهبنا إلى النادى حيث خطيبته ورأيت بجوارها شابًا وسيمًا حقًا، ويتضاحكان فى سعادة، ونظرت فى دهشة ثم انفجرت فى الضحك قال فرغلى: أنت

بتضحك على إيه دلوقت!!! قلت له: ألا تلاحظ الشبه الرهيب بينهما إنه أخوها التوءم، وحملق فرغلى فيا متشككًا وقال: توءم!! وأخذ نفسًا عميقًا من سيجارته وقال: بس مش شبهها قوى!! وإزاى أنا ماشفتهوش؟! قلت له: لقد رأيته وجلست معه عندهم فى البيت وكنت أنا معك أيضًا، شرد فرغلى قائلاً: طيب وإيه اللى يجيبها مكان زى ده مع أخوها؟! تقصد إيه!! جايه تشكى له منى!! ولا عاوزه تفسخ الخطوبة؟! وكانت الفكرة حينما تتبلور فى رأسه وتكبر فى دماغه ينظر لى فى غيرة ويقول: ماحد يفهمنى يا جدعان، أنا لازم أعرف الحدوتة بالظبط، ولم تكن هناك حواديت أو مواضيع إلاّ فى رأس فرغلى.

ولا أنسى يوم كنا ذاهبين إلى رحلة، وليلة السفر ذهبنا لننام وفجأة وجدت فرغلى يلكزنى ويوقظنى من النوم، كان يدخن فى عصبية وكان شعره منكوشا ويدور فى الحجرة فى غيظ، أفقت مذعورًا، فيه إيه يا فرغلى!! قال فى انفعال: إيه ح تعمل مش سامع، استيقظ!! قلت له: أنا مش سامع حاجة، وجن جنونه، يعنى أنا مجنون بيتهيألى حاجات، بيطلع لى عفاريت، إيه يا جدعان ماحد يفهمنى اللى بيحصل ده.. مش سامع برضه.. لسه مش سامع.. واسترقت السمع لأجد صوت شخير زميلنا مسعد النائم بالحجرة المجاورة، قلت له: آه ده مسعد بيشخر وهو نايم، قصدك على كده يعنى، فأخذ نفسًا عميقًا من

سيجارته، وقال لى فى أهمية، يقصد إيه!! متعمد يشخر وهو نايم علشان ما أنامش يعنى مش كده!! هه!! مش عاوزنى أروح الرحلة.. ولا عاوزنى أروح مش نايم!! ولا عاوز يبوظ أعصابى، وكتمت الضحكة بصعوبة، واستطرد شاردًا، وهو يتأمل مسعد النائم فى براءة، مسعد ده طول عمره ما بيحبنيش.. أنا أحس الحاجات دى، أنا فاهم حركاته دى كويس، واستيقظ مسعد مذعورًا على فرغلى يلكزه بقدمه وأقسم له إنه لا يتعمد الشخير، ومع ذلك أحببنا فرغلى.. برغم شكه الدائم فى كل شىء.

وفى الوسط الفنى تجد من فرغلى هذا مئات.. قال لى ذلك النجم الذى لم يبدأ مشواره الفنى بعد.. مؤامرة!! إنها مؤامرة ضدى.. أنهم يحاربوننى..

يريدون أن يقضوا على.. ونجمة أخرى قالت لى عن زميلة لها.. هل ارتدت هذا الفستان إلا لتغيظنى لأنها تعلم أننى اشتريت مثله أنا عارفاها كويس.. أمال تقصد إيه!! هه!! دسائس ومكائد ومؤامرات.. ونمل وصراصير.. أشياء كثيرة تملأ أدمغة الفنانين.. كلها أوهام.. كلها شكوك ليس لها أساس من الصحة.. والشك نوع من التعطل.. بعضه صواب وبعضه إثم.. إثم مبين.. والشك مراحل.. ودرجات.. فذلك الرجل الذى كان يشكو لصديقة قائلا: يا أخى أنا باشك فى مراتى وأخشى أن تكون تخوننى مع الجنايتى..

فقال صديقه: وما الذى جعلك تشك فى ذلك؟ فأجاب: وجدت فى حجرة نومى آثار طين وجلبابًا قديمًا وفاسًا.. فقال صديقه يهدىء روعه: يا أخى لا تكن شكاكًا هكذا.. وما قولك فى حالتى أنا.. أنا بطريقتك هذه المفروض أن أشك فى زوجتى أن تكون تخوننى مع البواب.. فقال الرجل: وما الذى يجعلك تشك فى ذلك؟ فأجاب: لقد وجدت فى حجرة نومى.. البواب.. البواب نفسه (ومع ذلك فهو لا يزال فى مرحلة الشك!!).

صدقونى الشك مرض وحالة أعوذ بالله منها.. ولا أنسى يوم اتفقت مع صديقى مسعد أن يمر فقط أمام حجرة فرغلى ويقول مساء الخير يا فرغلى.. وهذا فقط ما فعله.. وبعدها.. همست له.. هو مسعد يقصد إيه؟! يعدى عليك مخصوص ويقول لك مساء الخير يا فرغلى!! بيهزر ده ولا بيتريق!! ولا فايق عليك.! وسحب فرغلى فورًا سيجارة من علبته الجاهزة.. وأشعلها بسرعة ونفخ فى الهواء مفكرًا.. مساء الخير!!! يقصد إيه!!! صحيح إيه مناسبتها يعنى!! عاملنى تريقة!! ولا حايفوق على!!! ثم ينظر لى فى غيظ سائلاً: ما تفهمنى ياجو.. الجدع ده ماله بيًا بس ياجدعان.. يعنى لما أروح أضربه دلوقت يبقى كويس.. وأخذ نفسا عميقًا من السيجارة وأخذ يتمشى أمامى فى الحجرة وهو فى حالة تفكير عميق.. ويفكر بصوت عال كأنه يكلم نفسه.. مساء الخير!!! واشمعنى جه يقولهالى أنا بالذات!! يقصد إيه!!

ثم التفت لى (أنا الغارق فى ضحكتى كاتمًا إياها) وقال: أنت سمعته قال إيه بالضبط.. قلت له قال مساء الخير يافرغلى.. فأكد على السؤال باهتمام. قال يافرغلى!! سمعته وهو بيقول يا.. فرغلى.. يعنى ما قالش ياجو!! ماقالش يا جماعة؟! فهززت رأسى نافيًا.. فعلا صوته قائلاً: يعنى جاى قاصدنى أنا بقى.. حاططنى فى دماغة.. مساء الخير يا فرغلى!! قصده إيه!! حايتنطط.. أنا بقى حا اعرفه شغله.. وخرج من الحجرة ثائرًا وأنا منفجرًا فى الضحك جاريًا وراءه أحاول أن أنقذ مسعد من بين يديه.. مسعد الذى كانت كل جريمته أنه قال.. مساء الخير يا فرغلى.

اصبر يا صابر

أنا أعشق النور، وأحب تلك النفحة الربانية حينما تنشر الشمس أشعتها فى الصباح الباكر، على أسطح البيوت الفقيرة منها والهاى، أحب الضوء حينما يدخل من الزجاج ويأخذ وضعه داخل الشقة، أحب البلكونات والشاى بالنعناع، وجريدة الصباح مع الشمس اللطيفة، ولا أحب تلك الستائر الموضة البلاك أوت، التى تمنع دخول الضوء، أشعر حينما تسدل الستائر إننى أقفل الباب فى وش ضيف مرغوب فيه، بل وأحس أن هذه البلاك أوت قلة ذوق.. وأحب فى الليل ليس ظلامه ولكن الأماكن السهرانة فيه، ولذا أنا كائن ضوئى فراشى الطابع، كلما وجدت ضوءًا ذهبت إليه بغريزتى، ولذا أنا طول الليل أبحث عن ضوء، أقعد فى الحسين أو فى أى مقهى سهران ملعلط بأضوائه، وبرغم أن الرومانسية ترتبط بالضوء الخافت والشموع فإننى إذا جلست فى هذا الجو مع الجو بتاعى، انعس على طول وأتثاءب، وأستاذنا العقاد لم يترك بيته الذى كان يعيش فيه لهذا السبب، قال إن

الشمس تدخل إلى كل سنتى فى البيت، فكان يتحرك فى الشقة مع حركة الشمس حتى لو راحت الحمام هو وراها.. ولذا أنا متعاطف جدًا مع هؤلاء الذين يسرقون التيار، إنهم عشاق للنور مثلى، والقمر لم يكتسب هذه الشعبية عند العشاق والشعراء إلا لأنه بقعة نور فى وسط الظلام الدامس، والمصريون القدماء عبدوا الشمس، وجعلوا لها إلها هو الإله رع، ولم يكن أى إله آخر يكتسب أى قيمة إلا بارتباطه برع، فلو عبدوا آمون يسمونه أمون رع وحينما أتى إخناتون ونادى بالإله الواحد، آتون.. لم يكن آتون سوى أشعة الشمس الخارجة من قرص الشمس، لتملأ الكون ضياء وحبًا ومعادة.

ولذا إذا قال لى أحدهم صباح الخير، أحب أن أرد عليه قائلاً صباح النور، ومن حبى للضوء أعتقد أنها لم تكن مصادفة أن يكون أول عمل مسرحى لى مع ثلاثى أضواء المسرح، وحينما أخذت شقة ذهبت إلى مباحث الكهرباء عاوز عداد "٣ فاز" قلت ما احرمش نفسى من حاجة بأه. قالوا لى إننى يجب أن أغير ضفيرة الكهرباء فى الشقة كلها وأرسلنى أولاد الحلال إلى صابر، وهو كهربائى متمكن من حرفته، له سوابق فى الإنارة وأستاذ فى توزيع الضوء، أتى لى صابر ومن أول لحظة شعرت أن علاقتى به تحتاج إلى "وصلة" ولكننى لم أستطع التعرف على "مفتاح" شخصيته من القعدة الأولى، وصابر شاب أنيق شعره منسدل على كتفه يرتدى "انسيال" كبيرًا وجنزيرًا فى رقبته

وخاتمًا ضخمًا فى إصبعه، ثمنه لا يقل عن خمسمائة مقال من مقالاتى هذه، ولذا كان يجب من أولها أن أعرف مركزى فى القعدة، ورقة الطلبات التى كتبها صابر تساوى فى حدود مائة مقال.. أسلاك وبرايز. ومفاتيح وتابلوه، وابتسم فى ثقة وقال: هذا طبعًا غير المصنعية، ثم ربت على كتفى فى حنان وقال: "لا تحمل هم" الحكاية فى بينها" وكانت المصنعية وحدها لا تقل عن خمسين مقالًا من هذا الذى أكتبه، وأصابتنى رعدة مفاجئة من ضخامة الرقم، أدركت أننى لا يجب أن أكلم صابر، إلا وأنا واقف على خشب، وبعد أن عرض صابر طلباته تحولت دفة الحوار، فاستبدل كلمة يا بيه التى كان يناديني بها.. إلى يا أستاذ، وهى نوع من السخرية من بيه مثلى فقد النطق حينما عرف المبلغ الذى سيدفعه فى الكهرباء، وشعرت حينها أننى نقيب نزل إلى رتبة ملازم أول. وقبل أن أنزل إلى رتبة عسكرى مجند، أخرجت كل ما معى وأعطيته، وكان المبلغ حوالى خمسة مقالات عُمى، وأعطيته كتابى الأخير هدية متواضعة وكتبت على الغلاف إهداء شخصى لصابر، إلى ذلك الرجل الذى سينير حياتى، ولم يهتم صابر كثيرًا بالإهداء ولا بالكتاب حتى، حيث إن اهتماماته كانت منصبة أكثر على المصنعية.

بعد ذلك أصبح صابر تهديدًا مباشرًا لى فى حياتى، خصوصًا بعد أن أخذ رقم الموبايل، فأجده فى لحظة يقفز فى حياتى وأنا أكتب

المقالات التى أسدد بها ثمن الكهرباء، ويأتينى صوته الساخر الشرير..إيه يا عم الحاج، النهاردة الخميس، عاوزين نحاسب الصنايعية، هنا أتلعثم وأعرق وأفقد فى الحال قدرتى الفذة على الكلام والإقناع، التى هى صناعتى، وأرد عليه كمتهم قبض عليه ظلمًا أمام وكيل نيابة لا يرحم، وتصبح ردودى من نوعية: أصل يعنى.. أصل والنعمة الشريفة، صدقنى، كلها كام يوم، معلش، هذا بالضبط ما حدث أمام صديقى الأليط عادل الذى ثار وانفعل من ضعف شخصيتى أمام صابر، وعادل شاب وسيم أنيق جدًا يركب سيارة فارهة والموبايل لا يتحرك من على أذنه، ولكنه حينما يضع يده فى جيبه يدرك حقيقة مركزه، إنه صورة من أحمد مظهر فى الأيدى الناعمة، صرخ فيا قائلاً.. مالك بتتذلل له كده ليه. أنت غريب قوى ما معكش فلوس.. آه.. بس أنت قيمة!! قلت له طيب يا عدول ما دام أنت محموق كده ما تدفع لى، فأجاب بسرعة.. أدفع لك منين ما أنا قيمة برضة، يعنى شحات زيك، قطع حديثنا دخول صابر علينا بنظرته الواثقة وابتسامته المرعبة وقال مازحًا.. إيه الأخبار مفيش حاجة يا ابو الكباتن، هنا تدخل عادل صديقى القيمة وقال له.. تعالى يا صابر.. فيه إيه... مستعجل ع الفلوس كده ليه.. أنت ليه باصص تحت رجليك؟! ليه عديم الخيال؟! وأشار نحوى وأنا جالس مطرق فى صمت وقال: أنت عارف اللى قدامك ده بكره ح يبقى إيه؟ ح يبقى حاجة جامدة قوى.. ليه ما بتبصش لبكرة؟ ليه ماتتحلمش معاه،

ماتبصلوش النهاردة، هل تذكر الرجل الذى ساعد الرئيس السادات فى مرحلة شاقة من حياته؟ حينما أصبح السادات رئيسًا للجمهورية ماذا فعل معه؟ روقه وعمل معاه واجب جامد فى التليفزيون، اصبر يا صابر لماذا لا تصبح اسما على مسمى؟! وهذا الفقير الذى أمامك "لا أعلم إن كان يقصدنى أنا أم يقصد نفسه، حينما يصل بكرة إلى ما سيصل إليه، سيبحث عنك بنفسه سيكرمك أمام الشعب كله، وانفجر صابر فى الضحك وقال له وهوه يا عادل بيه لا مؤاخذة يعنى الأستاذ ح يبقى رئيس جمهورية!! وهنا أدركت أن صابر يقيمنى ويضعنى فى حجمى الحقيقى، وأدركت أننى بالنسبة لصابر شخص غير واعد، ولكن الغريب أننى شعرت أنه اقتنع بفكرة عادل، وهى أن يصبر ويبص لبكرة وليس تحت رجليه، وهذا ما فعله فعلاً، فوت بكرة وأتى بعد بكرة ليطالبنى بالمصنعية. لم يتحمل صابر أكثر من ٢٤ ساعة ثم هبط إلى أرض الواقع.

فى المساء سمعت طرقًا شديدًا على الباب، ورجال ذوو ملامح جامدة قالوا لى كلمة واحدة.. عاوزينك.. أخذونى فى سيارة ووضعوا لى شريطًا لاصقًا على عينى، ودخلت أحد المكاتب وسمعت الدقات الثقيلة للأحذية الميرى، وفتحت عينى فوجدت ضوءًا رهيبًا مسلطًا على عينى. وبدأ عشقى للضوء يتراجع وخلف الأباجورة الشهيرة كان يقف مارد ضخم. تأملته كثيرًا، يا للمصادفة.. إنه صابر.. قال لى بسخريته المعهودة، هل أنت مصر على ألّا تدفع المصنعية، قلت له فى

رعدة: سأدفع سأدفع، ولكن الظروف صعبة يا صابر بك، قاطعنى فى عصبية قائلاً.. وتدعى فى مقالك الأخير أن وظيفتك التنوير، أمال أنا شغلتى إيه، أعتذرت له بشدة وقلت له إنها زلة لسان، اقترب منى ووضع الفيشة فى رأسى، أخذت اهتز وأصرخ، ثم سمعت صوت هبدة رهيبة.. و.. وقعت من على السرير.

حينما أكلتنى البارومة!

كان يتحسس الصاج بيده وينقر عليه، ويستمع إلى صدى الصوت باهتمام ثم بادرنى قائلاً: لا أستطيع أن أحدد موطن الداء إلا إذا فككتها، لأرى بنفسى، أتركها لى ثلاث أربع أيام وتعالى استلمها عروسة، وتركتها ومضيت كالعشيق الذى هجرته معشوقته، وألقيت عليها نظرة أخيرة، ولا أعلم لماذا شعرت أنها تتوسل لى ألاَّ أتركها بين براثنه؟ فعدت مسرعًا وقلت له وأنا أربت عليها ما أوصيكش بقه يا أسطى بلبل.

فى اليوم التالى وفى تمام العاشرة صباحًا كنت أقف أمام الورشة، رأيت أبواب سيارة وزجاجًا وموتورًا مفكوكًا، وفرشًا يشبه إلى حد كبير فرش سيارتى، وحينما سألت الصبية الذين يعبثون بهذه الأشياء أين الأسطى بلبل؟ قالوا لى فى سخرية، الأسطى لا يأتى قبل الثانية عشرة، فسألتهم فى براءة: هل هذه السيارة ماركة كذا والتى أتت إلى الورشة بالأمس؟ فأكدوا على كلامى، إذن هى سيارتى، ساعتان من

العذاب قضيتهما فى انتظار الدكتور بلبل وكان الصبية العفاريت يجلسون على كنبه سيارة خلفية يتناولون الإفطار، ولا أعلم لماذا خيل لى أنها الكنبة الخاصة بسيارتى، خصوصًا حينما مسح أحدهم يده المزيتة بالفول والشحم فى الكنبة وهو يتجشأ، وجاء الأسطى.. ولم يستقبلنى مرحبًا كما كان بالأمس، كان فى لقائه بى فتور غريب وجفوة، لماذا يا أسطى؟ فهمس لى أحد الصبية الواعين، الأسطى لم يعمل اصطباحته بعد اتركه يصطبح وبعدها كلمه، جاء الشاى بالحليب وكرسى الدخان، وأنا فى انتظار مميت استمرت طقوس الاصطباحة مع الأسطى حتى الواحدة، ثم اتفكت عقدة لسانه، شوف بقة يا بشمهندس الكاربيراتير قافش، والأبلاتين لادع، والشاسية واكلاه الباروما والكتاوت والرداخ.

وأخذت استمع إليه كالأطرش فى الزفة، كأننى سائح يتمشى فى بلاهه فى الأقصر وأسوان، ينظر باستغراب إلى هؤلاء القوم ولغتهم الغريبة، أنا لا أفهم شيئًا مما يقول، فابتسم فى ثقة وكأنه استراح إلى بلاهتى وقال بس ماتشيلش هم.. كله مقضى إن شاء الله أصل الاوتمبيل ده زى البنى آدم تراعيه يراعيك، فقلت له فى خجل: بس يا ريت يا أسطى بلبل تلم العربية يعنى، ونحاول نعملها ع الضيق علشان الظروف يعنى، هنا تغيرت ملامح الأسطى بلبل وألقى بالشيشة وبكوب الحليب، وقال لى فى عصبية فلوس: أنت بتتكلم على

فلوس يا راجل عيب، فلوس إيه أنت بتشتمنى كده عليا النعمة أنت بتشتمنى. أنت باين عليك قاصد تشتمنى وارتبكت، ولم أعرف كيف أرد عليه، وتوترت أكثر، وأصررت على سؤالى يعنى ح تتكلف كام؟ فى حدود كام مثلاً؟ خذنى على قد عقلى، فهدأ قليلاً وأخذ نفسًا من الشيشة بعد أن عدلها وعدل النار فوق الحجر ، وقال اللى تجيبه ثم أطرق مفكرًا للحظة وقال: ح أخد منك ألف جنيه، ياللا.. هنا ابتسمت له قائلاً أنت كده اللى بتشتمنى يا بلبل، ولكن.. ما العمل.. السيارة مفكوكة.. وأصبحت فى أمر واقع سيأخذ الأسطى بلبل الألف جنيه التى أقدح زناد فكرى بها لشهور ليعمل بها اصطباحة وأمرى لله، قال لى فى لحظة تجلٍ، أنا عارف إنك شغال فى السيما بس بصراحة كده، أفلام كلها أونطة ما فيهاش (كصه) إنما الهندى، يا عينى ع الهندى، فيلم حكاية.. ده الفيلم اللى اسمه مارد ده شفته يطلع تلاتين مرة، ده الواد ابنى حافظ كل أغانيه.. اسمعه يابيه يمكن تاخده معاك فى السيما.. وله.. سمع البيه ياله، وخرج الوله من داخل موتور سيارة مليئًا بالشحم، ولا يظهر من طفولته سوى عينين متقدتى الذكاء، ونظر لى فى عدم اهتمام.. وزجر أباه قائلاً ماتسيبنا نشوف أكل عيشنا يا أسطى، ورد عليه الأسطى فى عنف ح تغنى والاَّ لأ ياروح أمك.. وأمسك حديدة فى يده يهدده بها، وانطلق الولد يغنى هندى، تيرى مانتى جمنا تيرى مانتى جامنا.. والأسطى يتمايل طربًا.. كل هذا

وسيارتى مذبوحه أمام الجميع، والكاسيت مفكوك وموصل بوصلة كهرباء وبه شريط لأحد المطربين، إياهم يقول إيه يا راجل انت ده. إيه اللى انت عامله ده، ولأول مرة يعبر هذا المطرب الذى لا أعرف اسمه عن مكنونى فى هذا الموقف، وأنا أنظر إلى الأسطى بلبل واحتبس داخلى غيظى المكتوم، ولا أعلم هل أظلمت الدنيا فجأة أم أننى لم أر أمامى، ولكننى خيل لى أنهم يحملوننى إلى أقرب مستشفى، كان رأسى موضوعًا تحت جهاز الأشعة على المخ، وأخرج الطبيب الأشعة، ووضعها فى الشاشة وتأملها جيدًا والتفت لى قائلاً: شىء غريب جدًا.. رأسك به بارومه!!

حريق اااه.. حريق اااه

أؤمن جدًا بالمثل القائل: إدى العيش لخبازه، ولكنى ملحد جدًا فيما يختص ببقية المثل، فما معنى أن أتركه يأكل ثلاثة أرباعه لمجرد أنه خبازه، استشاط صديقى غاضبًا وصرخ فيا، انت، تفهم فى العربيات؟!

قلت له، لأ، قال لى خلاص، سيبنا بقى نجيبلك عربية، اسكت خالص، عالم العربيات عالم تانى، له دهاليزه وأسراره، انت مش بتطلع فى التليفزيون وتبص للكاميرا، وتتصور.. شغلتك، أنا لما باروح أعمل صور الباسبور بابقى باشر عرق من الكسوف.. ليه؟ مش حتتى.. عشان كده أنت تقعد.. تسمع وتتعلم.

جلسنا فى معرض السيارات، وكانت هناك مناقشة حامية الوطيس بين مجموعة من الرجال، صاحب المعرض يقسم أنه مش طالع فى العربية دى غير بشلن، وأنه لولا عامل واجب مع صاحب العربية ماكانش يطلع بأقل من بريزه.

تأملت المعرض الأنيق والسيارات الفارهة، وقلت لنفسى فعلاً من بره هللا.. هللا.. ومن جوه يعلم الله، كل هذه التعب عشان شلن.. وبريزة، همس صديقى لى فى أذنى بعد أن قرأ ما أشعر به، الشلن يعنى خمستلاف جنيه والبريزة عشرة، عشان شكلك كده ح يكشفنا فى ليلتك، ثم سأل صاحب المعرض: إحنا عاوزين نوجب مع جو فى عربية.. أجاب صاحب المعرض.. عاوزها فاضية.. ولا مليانه.. أجاب صديقى اللى عندك، هنا لم أحتمل.. فأنا لا يمكن اشترى عربية فاضية.. إزاى يعنى.. وأقعد ع الأرض، اشتريها وأقعد ألم قطع غيارها بأه، لأ.. أنا عاوزها مليانه طبعًا، وانفجر الجميع فى الضحك.. وقال صديقى وقد نفد صبره، يا عم اسكت.. قلتلك ما تتكلمش، فاضية يعنى ما فيهاش كماليات، لا تكييف.. ولا سنترلوك ولا باور ستيرينج ولا قزاز كهربا.

قال صاحب المعرض، انت ابن حلال.. عندى عربية حكاية.. بتاعة واحدة ست يادوبك بتروح النادى بيها وترجع، بس ما فيهاش كراسى.. إيه رأيك.. قال صديقى متهللاً هيه دى.. نشوفها.. هنا بقى.. لم أستطع أن أسكت.. قلت له فى غيظ، هيه دى إزاى؟ أركب عربية ما فيهاش كراسى؟ أجيب شلته يعنى أقعد عليها واللا كرسى الحمام بها و.. هاها.. هذا طبعًا صوت ضحك الجميع على حضرتى.. فمعنى أن مافيهاش كراسى كما علمت بعد ذلك، أن الكراسى لا

تتحرك بالكهرباء.. وسأله صديقى الخبير (الخباز الذى سيأكل ثلاثة أرباع الرغيف) أوعى تكون مرشوشه، هنا لم أتمالك نفسى وقلت له فى استخفاف، يا سلام، جاى على الرش وبتتكلم، ما تترش يا أخى.. ده أنا بجوز جنيهات أوديها البنزينه مش يرشوها يحموها، هنا.. أخذنى صديقى خارج المعرض.. وقال لى.. ودينى ما أنا متصدر لك فى حاجة بعد كده، قلت له فى نفاد صبر، هو إحنا ح نتعلم لغة جديدة عشان نشترى عربية، أنا عاوز عربية جديدة ع الزيرو، وثمنها موجود فى الجرنال، ح تعمل فيها حلمى خزام الثمن القضائى، سمعنى صاحب المعرض.. وقال لصديقى.. خلاص مادام عاوز زيرو، نديله زيرو، ونخدمه فيه كمان، قلت له هوه ده الكلام.. ونحيت صديقى بذراعى جانبًا، وقلت لصاحب المعرض فى ثقة: مادام ح نتكلم فى الزيرو بقى الكلام معايا أنا، العربية دى أنا بقالى أسبوع متابعها فى الجرايد، مش ح أدفع فيها مليم زيادة عن الأربعة وخمسين ونص، ونظرت لصديقى فى ثقة، أنت فاكر إيه إحنا مش فى السوق ولا إيه يابا؟ قال صاحب المعرض.. وأدفعك أقل من كده كمان قلت له إزاى؟ ده ثمنها كده فى الجرايد، قال لى سيبك م الجرايد أنت بس، عاوز تأخد العربية خدها واتكل على الله، ويا سيدى.. هات خمسين ألف جنيه، قلت له.. اشتريت. قال لى مبروك.. هنا همست لصديقى الطمعان فى عمولته.. الخباز الحقير.. آدينى خلصت

البيعة وبأقل أربعة آلاف وخمسمية جنيه، لما تقف على إيديك أنت مش ح تنزلهم.

قال لى وهو يعض على شفتيه من الغيظ، يا حمار.. ده أنا أجيبها لك أقل من كده كمان، دى محروقة.. نظرت إلى السيارة بدهشة، عروسه واقفه على الأرض، بتبرق انحرقت إمتى؟ تشممت السيارة بأنفى الخبيرة لا ريحة شياط ولا أى آثار للحريق، وفهم صديقى ما يجول بخاطرى، وقال وهو منفجر فى الضحك.. محروقة فى السوق يا بنى آدم قلت له يعنى أيه محروقة، أجاب.. يعنى تاجر اشترى عشر عربيات بالقسط الواحدة.. بالمبلغ اللى أنت قريته فى الجرنال، عاوز سيولة فلوس كاش، يقوم بايعهم بأقل من سعرهم يمسك فلوس فى إيده.. يمشى حالة، ويرجع يحرق تانى، طبعًا لم أفهم أى شىء مما قاله صديقى، الذى أخذنى سن بدى كاليس فى بلاد العجائب، ومشى بى فى شارع عبد العزيز.. والمحلات التى تعرض كل شىء وقال لى كمرشد سياحى لسائح هندى يزور مصر للمرة الأولى: كل البضاعة دى ياجو، تاخدها بأقل من سعرها بكتير، التليفزيون أبو ألفين جنيه أخلصهولك على ألف وتلتميه، قلت له: محروق برضه؟ قال لى..غسالات محروقة.. وثلاجات محروقة.. ثم ابتسم فى خبرة وتنهد وقال: عارف عطية صاحبنا.. قلت له آه عارفه، قال لى الشبكة اللى جابها لعروسته، جابها محروقة.. والموبيليا.. جابها محروقة، القرش

صياد يا راجل ده النجف جايبه محروق، وعشان كده لما اتجوز مراته دى.. البيت ولع.. نكد عمال على بطال.. ما هى بضاعة منظورة برضه.

وسكت قليلاً، ثم فاجأنى بسؤال، أنت نفسك مابتحرقشى.

قلت له أنا أعصابى هيه اللى محروقة قال لى يعنى لو اتزنقت ما تبيعش مسرحية ولا فيلم بنص أجرك، وتخلص فيهم، ما هو لو ماتباعش أهو قاعد عندك فى الدرج، قلت له لا صديقى.. الحريق عندنا يختلف، الفن حاله من الندرة، الفن كيف، فأنت إذا رطرطت نفسك.. أصبحت محروقًا، فنحن مثل النكتة، لا تستطيع أن تبدأ بنهايتها، هكذا أنت حرقتها.. فأصبحت لا تساوى أى شىء.

فأنا إذا اتزنقت فى الإضحاك، لا أستطيع أن أفعل مثلك وأضحى بالنكتة وأحرقها حتى أحصل على عائد سريع من الناس، فى سوق العربيات قد تجد زبونًا يشترى سيارة محروقة، ولكن فى سوق الفن، لا أحد يشترى فكرة محروقة، واسمح لى.. أنا لن أشترى سيارة محروقة أيضًا، لقد قررت أن أتمشى على رجلى، عشان أحرق الدهون.

رمضان كريم

بعودة الأيام، أجمل أيام، أحلى شهر فى السنة كلها هذا الشهر الذى يمر خطفًا كأنه يحنسنا، رمضان الكريم، وكرمه فى كل شىء، فيض من الاستقرار النفسى والهدوء والنورانية، شلال من الحب والتفكير فى الآخرين، والخروج من أسر الذات، وعلاوة على ذلك فوانيس وتواشيح وكنافة وقطايف، وحى الحسين بيبقى فوق بعض من الزحام، حتى الصباح.. ومن الذى ينام فى رمضان؟! أنا شخصيًا لن أنام إلاّ ع العيد وعليكوا خير.

لبلدنا من حسن حظنا هيصة خاصة بها، هيصة مصرية رائعة، من قال إنهم فى بلاد بره يعرفون الاحتفالات، هذا كلام فاضى، أنا لا تخدعنى هذه المناظر الكدابة والأضواء الساطعة. والليزر. راجل عجوز بعود يغنى على مقهى فى الحسين أحسن من شارل أزنافور ويقول ابن بطوطة: أهل مصر ذوو طرب وسرور ولهو، شاهدت

أسواقهم مزينة وحوانيتهم معلق عليها الحلل، والحلى والثياب الحريرية والمصابيح الجميلة، وكان عندنا قديمًا يوم مشهود اسمه يوم خروج المحمل، يطلع قضاة مصر الأربعة والمحتسب على باب القلعة ويخرج إليهم المحمل، على جمل، ويجتمع لذلك أصناف الناس رجالاً ونساء، ويطوفون بالمحمل مدينة القاهرة، والمغنون ينشدون الأغانى الجميلة، هذا حينما كانت مصر مريشة والفلوس عندها زى الرز، وكانوا أيام الفاطميين يمدون السماط، موائد الرحمن بتاعة زمان، حاجة مهولة.. ويقول السلطان الفاطمى العزيز بالله: أحب أن أرى النعم عند الناس ظاهرة، وأرى عليهم الذهب والفضة والجواهر. يسمع من بقك ربنا يا حضرة السلطان.

ويذكر أحد الرحالة (ناصرى خسرو) أن المصريين كانوا فى غنى عظيم، ورأى فى مصر بيوتًا تتسع لأكثر من ثلاثة آلاف ساكن، وبيوتا مكونة من أربعة عشر طابقًا، هو الذى قال ذلك والله، ولم أستطع أن أسأله، هل كان فيه فى مصر أمانسيرات أيامها، لأنه مات منذ عدة قرون، وهل هدمت هذه العمائر الضخمة أم أن علاقة مصر بزلازل اليابان ترجع إلى هذه الأيام البعيدة، وقال إن من عادات أهل القاهرة، وضع الزهور فى الأصص وتجميل العمائر، ما هذا الجمال، أضم صوتى إلى صوت الشاعر الذى قال:

لعمرك ما مصر بمصر وإنما ... هى الجنة الدنيا لمن يتبصَّرُ

فأولادها الولدان والحور عينها ... وروضتها الفردوس والنيل كوثرُ

نحن أهل الكرم لاجدال، قال قيس بن سعد: نزلنا بالبادية على امرأة فجاء زوجها بناقة ونحرها لنا، وفى الغد جاء بناقة أخرى ونحرها، وماكنا أكلنا سوى القليل سن الناقة التى نحرت البارحة، فقالوا له، ده كتير يا عم.. فقال لا أطعم ضيفى الطعام البائت، فبقينا عنده أيامًا وهو يفعل ذلك كل يوم، ع الصبح كده يدبح له ناقة، هل شاهدتم كرمًا كهذا، وحتى لو كان عنده ديب فريزر أعتقد أن هذا سيكون تصرفه، إنها طبيعة إنسانية، وحاول الضيوف أن يعملوا أى منظر مع الرجل الذى كلف نفسه كل هذه التكاليف، فتركوا مبلغًا سن المال، وانصرفوا، ولما ارتفع النهار إذا بالرجل يصيح خلفهم، قفوا يا أولاد الـ .. هل تعطوننا ثمن كرمنا؟ خذوا ما لكم وإلا طعنتكم برمحى هذا، فأخذوا الفلوس وأخذوا ديلهم فى أسنانهم.

ويقال إن رجلاً كريمًا اسمه يزيد بن المهلب، طلب حلاقًا ليحلق رأسه، فجاؤوه بحلاق حلق رأسه فأمر له بخمسة آلاف درهم، فتحير الحلاق واندهش، ده لو كان حلق له كابوريا ماكانش أخذ المبلغ ده، وقال الحلاق: سآخذ هذه الخمسة آلاف وأمضى إلى زوجتى أفرحها وأخبرها أننى استغنيت، فقال يزيد: أعطوه خمسة

آلاف أخرى، فقال الحلاق، تكون زوجتى طالق منى إن حلقت رأس أحد بعدك.

تاريخ الكرم فى بلادنا تاريخ طويل، هل تتصورون أنهم أنشأوا دارا (وزارة يعنى) خاصة بالكسوة، اسمها دار الكسوة خاصة بتوزيع الكسوة على الفقراء.

وإذا كان الشىء بالشىء يذكر، تعالوا نضحك من البخلاء الذين وردت أخبارهم قديمًا، وقد اشتهر أهل مرو بالبخل حتى يقال إن من عاداتهم إذا ترافقوا فى سفر، أن يشترى كل واحد منهم قطعة لحم يربطونها فى خيط، ويضعونها فى الحلة على النار، فإذا استوت.. سحب كل واحد منهم خيطه وأكل الحتة بتاعته، والشوربة تتقسم بالحلال عشان ما يحصلش مشاكل، وقال رجل من البخلاء لأولاده اشتروا لى لحمًا، ففعلوا ولما استوى شطَّب عليه حتى لم يبق فى يده إلاَّ عظمة.. وعيون أولاده ترمقها وكل واحد منهم يعد نفسه بأن تكون العضماية من نصيبه، فقال لهم الأب.. لن أعطى هذه العضماية إلا لمن يصف لى ماذا سيفعل بها.

قال الولد الأكبر ولعابه يسيل أمشمشها يا أبت، وأمصمصها. قال الأب لست بصاحبها. قال الولد الأوسط ألوكها يا أبت وألحسها حتى لا يدرى من يراها هل هى عضماية أم كوز ذرة، قال الأب مالكش نصيب فيها. قال الولد الأصغر يا أبت أمصها ثم أدقها

واطحنها، وبعد ذلك أسفها سفًا، فابتسم الأب وقال لابنه ما شاء الله.. حلال عليك.. ربنا يزيدك يا ابنى عقلاً وحرصًا.

أعزائى، كم أتمنى أن نعود إلى عاداتنا، عادة بلدى قديمة وجميلة للغاية، أن أجد على المائدة طبق بامية برغم أننا طابخين فاصوليا، وحينها أسأل أمى، منين البامية دى؟ فتقول دى جارتنا باعتاها عشان تدوقنا: الشىء الأجمل أن أسأل أمى عن الفاصوليا التى طبختها لنا فلا أجدها، لأنها قامت مشكورة بتوزيعها كلها على بقية الجيران.

إحنا اللى خرمنا الربع جنيه!

كل سنة وانتو طيبين العيد علىَ الأبواب، ويا رب كل أيامنا تبقى أعياد فى أعياد، والعيد مرتبط بالطفولة أكثر منه عند مرحلة النضج، ولكل منا ذكريات جميلة فى العيد، ويقـول الشاعر: (**ولقد تعوضت عن كل بمشبهه فما وجدت لأيام الصبا عوضًا**) وهو عنده حق، فمن منا لم يأخذ جزمته فى حضـنه، لتبيت بين ذراعيه ليلة العيد، لماذا الجزمة بالذات؟! لا أعلـم كان دائمًا لها عندنا معزة خاصة، ومنذ فترة بسيطة لا تزيد على ربع قرن، كان جيبى فى العيد يشخشخ بالتعاريف والقروش، التى كان لها شنة ورنة، والحقيقة أننا كنا أطفالاً طيبين، فلم نكن نعلم شيئًا عن سلاحف النينجا ولا الأتارى، وكانت المرجيحة التى يحركها الرجل بذراعية المفتولتين، هى منتهى أملنا أما اللولى باب، فلم يكن أكثر من العسلية التى كانت زى السكر فى أفواهنا، ولا نرى فى الكون أطعم منها وأولادنا الآن ـ أعنى فلذات أكبادنا ـ يصبحون فى العيد ولا مأمور الضرائب، رأيت أبًا جمع أولاده فى أول

أيام العيد ليوزع عليهم العيدية، كان الأولاد جالسين واضعين رجلاً على رجل فى عنجهية، وأكبرهم لا يزيد على ثمانى سنوات، وقف الأب فى البداية وألقى عليهم محاضرة طويلة، يشرح فيها الحالة الاقتصادية فى البلد، وتكلم عن البنك المركزى، والصندوق والخطة الخمسية، وكان أطفاله يومئون برؤسهم ويؤكدون على كلامه، وبعد أن سرد لهم بالتفصيل الحالة العامة، نفذ منها إلى حالته هو وكيف أنه يعد من محدودى الدخل، وأخرج لهم مفردات راتبه التى فحصها الأطفال بعناية، وفى نهاية خطبته الجميلة ناشدهم أن يترفقوا به فى مسألة العيدية، وتركه الأطفال قليلاً للتشاور والمداولة، ثم عادوا إليه وقد اتخذوا قرارًا جميلاً، بأن يعطوه هو العيدية هذا العيد.

والأطفال مظلومون أيضًا، فإذا حسبت مصاريف الطفل تعذره، وتعالى نتكلم عن الأساسيات، وباعتبارى وأنا أعترف بذلك ـ جوايا عيل ـ فاسمح لى أن أقول لك مصاريف الطفل المعقولة فى العيد إذا صرفنا له يوميًا ثلاث مصاصات، وشيكولاتاية، وكيس فيشار، وكيس بومب، وحرب أيطاليا، وإذا اشتريت له مسدسًا أو حصانًا أو عروسة، ثم ذهبت به إلى الملاهى، لكى يتمرجح قليلاً ويلعب لعبتين أو ثلاثًا، وإذا أجرت له عجلة، أخذ بها لفتين أو ثلاثًا وفقط ولا أكثر من ذلك، فها هى ورقة بميت جنيه، كل سنة وأنت طيب والتليفزيون لا يرحمنا، إنه يعلم جيدًا أن الطفل هو الآمر الناهى فى البيت، ولهذا لا

يتوانى فى أن يتحفنا كل يوم باختراع بدعة جديدة وكله للأطفال، لعب وحلوى وأحذية رياضية، وأخيرًا ذلك الحذاء اللى بينور.

لن أنسى فى حياتى ذلك الطفل البائس، الذى رأيته عند أحد أصدقائى، وقد ألقى بحذائه الجديد من النافذة لأنه ما بينورش، وشكالى الطفل مأساته وقال لى: يرضيك يا أونكل أصحابى كلهم الشوز بتاعهم بينور وأنا ما بينورش؟! وأظلمت الدنيا فى وجهى وتذكرت تلك اللحظة الجميلة، التى كنت أحتضن فيها حذائى ليبيت فى أحضانى، وعلمت لماذا كان لحذائى عندى هذه المعزة، برغم أنه ما كانش بينور لأنه كان الحذاء الوحيد الذى أشتريه كل عام، ويظل رفيقًا لى طول السنة أروح وآجى به، وأهريه وأقطع نفسه من المشى ولا أحد يمشى خلفى مرددًا مين ده!! مين ده؟!

كانت العيدية التى كنا نأخذها فى العيد ـ لما يضربها الدم ـ لا تزيد على ربع جنيه، لا يمكن أن تزيد على ذلك، تعاريف على قروش على شلنات، فكان لها صلصلة وجلجلة وشخللة فى الجيوب، وكنا نجمدها إذا أكتمل الربع جنيه بورقة جديدة، نشترى لها محفظة مخصوص من النوع الشفاف، حتى نضعها فيه لتظهر بكاملها، وكنا نتباهى بهذه الورقة فى الحقيقة، ونخرج المحفظة من جيوبنا عمال على بطال، لتظهر هذه الورقة المصممة كأنها الفيزا كارت.

إلى أن جاءنى ابن أحد أصدقائى بقرش تعريفة مخروم، وقال لى

شفت ده يا عمو؟ قلت له أنت لا توعى على ذلك يا ابنى هذا كان أيام زمان، فضحك قائلاً لا هذا ربع جنيه الربع جنيه الجديد، واندهشت أخذت منه الربع جنيه المخروم، وأنا أتقطع وتأملته فى أسى أنت يامن كنت أتباهى بك فى محفظتى، ورقة لها كيان ولها أهمية، وصلت بك الحال إلى هذه الدرجة، وهل سنرى الجنيه أيضًا مخرومًا، والعشرة جنيهات والعشرين والخمسين والمائة، هل هو مرض أصاب الفلوس هذا الثقب؟! كنا نقول على الرجل الكريم الذى ينفق على غيره بلا حساب إن جيبه مخروم، وأن إيده مخرومة، ولكن اليوم النقود هى اللى مخرومة، كل هذا حدث فى ربع قرن فقط، وتخيلت الحالة التى سيكون عليها أحفادى فى القرن الثانى أو الثالث والعشرين، سيقول الطفل لأبيه : بابا.. من فضلك عاوز تلاتلاف جنيه عشـان أركب المراجيح، و١٢ ألف جنيه أجيب مصاصة، ولبان وسبعة تلاف جنيه أجيب بالونة، وسيبتسم الأب لصديقه قائلاً: والله يا أخى الواحد يفك المليون جنيه ما يعرفش بيروحوا فين؟!

المحتويات

Kabaka

ح نعيش كده.. ونموت كده

لا تصدّق يوسف معاطى إذا قال ح نعيش كده ونموت كده ، لأنه ماكتب كتابه هذا إلاّ من أجل أن يتغير هذا " الكده "، ولأنه اختار الأصعب. أن يكون ساخرًا، يضع لك روشتة للخروج من مطبّات حقيقية تصادفك فى الواقع، حين تتعامل مع المنافقين، وحين تحاول أن تكون أنت منافقًا لرؤسائك سيضع لك وصفة للنجاح فى هذا النفاق، ويحذرك عند نقطة محددة سيتحول النفاق إلى شىء آخر إياك أن تكونه. وعن الوساطة والمحسوبية ستضحك معه [illegible] ، تدار بها حياتنا.

1250 ج

هذه تـ[illegible]ـجارحة ومدببة تقلقك على حياتك وواقعك لكنها فى كل الأحوال لاتضحك عليك . إنما تصارحك.



* الأستاذ يوسف معاطى كاتب ساخر يعرفه قراء الصحف والمجلات ويستمتع بأعماله الكوميدية مشاهدو التليفزيون ورواد السينما والمسرح.
* وقد أصدرنا له من قبل مجموعة من كتبه فى الأدب الساخر، أشهرها: مصر وأهله.. عفاريت.. صايع بالوراثة.. وهى كتب متميزة حازت إقبالا من القراء فى مصر والبلاد العربية.
* من أشهر مسرحياته الكوميدية : حب فى التخشيبة..الجميلة والوحشين- بودى جارد .. بودى جارد .. بهلول فى استامبول .. لألا بلاش كده .. وهى مسرحيات ناجحة قام ببطولتها كبار نجوم الكوميديا.
* كما كتب العديد من قصص وسيناريوهات الأفلام السينمائية الكوميدية أشهرها: التجربة الدانمركية- عريس من جهة أمنية.. السفارة فى العمارة.. الواد محروس بتاع الوزير- ياتحب ياتقب.. حاتحب وتقب.
* كما ألف عددًا من المسلسلات الناجحة التى كان لها أثر كبير داخل المجتمع العربى مثل: عباس الأبيض فى اليوم الأسود.. سكة الهلالى..